يشرق على وجه سيدة جميلة طاهرة ومثقفة يجمّل وجوده ويجذب اليه الانتباه ، بل ويصنع له الهالة ! وفجأة ... هذا كل شيء ينهار . أحدث ذلك الانقطاع المفاجيء العنيف في نفسه تأثيرا صاعقا ! كان كخرافة كريهة غير معقولة . انه لم يظهر الا ذرة صغيرة من التجبر ، بل انه لم يجد الوقت الكافي للتعبير عن رأيه ! لقد كان يمزح بكل بساطة : فانساق قليلا مع أفكاره ، وهذه النتيجة قد أصبحت خطيرة جدا . ثم انه كان يحب دونياه على طريقته ، وكان يشعر بأنها ملك له في أحلامه ، واذا ...

كلا ! غدا ، نعم غدا ينبغي اعادة الوضع الى ما كان عليه سابقا ، فينبغي رتق ما تصدع ، وكذلك ينبغي حتما سحق ذلك السفيه الغرير الذي كان سبب كل هذا . شعر رغما عنه بلون من الانزعاج حينما تذكر رازوميخين . غير أنه طمأن نفسه بسرعة وهو يقول : « لم يبقَ الا هذا في مصافيّ أنا لوجين » ! أما الوحيد الذي كان يخشاه ويحسب له حسابا حقيقيا فكان سفيدريكايلوف . والخلاصة انه كان يتوقع كثيرا من المزعجات ...

قالت دونيا ، وهي تعانق أمها :

ـ كلا يا أماه ، انني أنا ، أنا التي أخطأت . لقد كنت أريده من أجل ماله . لكنني أقسم لك يا أخي بأنني لم أكن أتوقع أن أراه رجلا على هذه الشناعة . ثق أنني لو عرفته على حقيقته من قبل لما سمحت للاغراء أن يحل في نفسي . لا تتهمني ، يا أخي !

غمغمت بولشيري ألكسندروفنا بلهجة لاشعورية وكأنها لم تتفهم بعد تماما كل ما وقع وحدث :

ـ لقد وقانا الله .

كانوا جميعا مسرورين متفائلين حتى أنهم لم ينفكوا عن الضحك



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

خلال الخمس دقائق الأولى • غير أن دونيا كانت في بعض الأحيان تشحب أو يكفهر وجهها عندما تذكر المشهد الذي وقع • أما بولشيري ألكسندروفنا فانها لم تكن تتصور أبدا أنها ستسر بوقوع حادث كهذا، وهي التي كانت صباح ذلك اليوم تعتبر قطع العلاقات مع لوجين مصيبة كبيرة تحل بهما ! وكان رازوميخين محلقا في السماء ، لم يكن يجرؤ بعد على التعبير عن سروره ، لكنه كان يرتجف بشدة كالمحموم ويشعر كأن حملا ثقيلا هائلا أزيح عن كاهله • لقد أصبح له الحق الآن في أن يكرس لهما كل حياته وأن يخدمهما ••• الآن ، وأي شيء لا يعمله الآن ؟ كان يطرد بعيدا عنه كل الأفكار المتعلقة بالمستقبل ، خشية أن يستسلم الى الخيال• كان راسكولنيكوف وحده جالسا فيمكانه الأول يبدو على وجهه لون من العبوس والشرود • كان يبدو ــ وهو الذي ألح كل الالحاح في ابعاد لوجين ــ أقل اهتماما بالحادث من الباقين جميعا • تصورت دونيا رغم ارادتها أنه لا زال حانقا عليها ، بينما كانت بولشيري ألكسندروفنا تتأمله في شيء من القلق •

قالت دونيا ، وهي تقترب منه :

ــ ماذا قال لك سفيدريكايلوف ؟

وهتفت بولشيري ألكسندروفنا :

ــ آه !•• نعم ! نعم !

فرفع راسكولنيكوف رأسه ، وأجاب :

ــ انه يريد قطعا أن يقدم لك عشرة آلاف روبل كهدية ! ثم انه يبدي رغبته في لقياك مرة أخيرة في حضرتي •

هتفت بولشيري ألكسندروفنا :

ــ أن تراه ! أبد العمر ! ثم كيف يجرؤ على عرض المال عليها ؟

فراح راسكولنيكوف يتحدث بلهجة جافية ساردا على مسامعهم



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الحديث الذي دار بينه وبين سفيدريكايلوف ، بعد أن حذف منه ظهور شبح مارت بيتروفنا المتكرر ، كي لا يخرج بهم عن الموضوع ، ولرغبته الأكيدة في الابتعاد عن أي حوار يتعدى الضروري جدا .

ـ بماذا أجبته ؟

ـ لقد صرحت له أولا بأنني لن أنقل لك كلمة واحدة من ذلك الحديث ، وعندئذ أبلغني أنه سيعمل ما في جهده وعلى طريقته ليحصل على موعد منك . انه يزعم بأن الرغبة التي كان يغذيها حيالك لم تكن الا هذرا ، وأنه في الوقت الحاضر لا يحس نحوك بأية عاطفة ... انه لا يريد أن تتزوجي من لوجين . غير أنه كان يتحدث بلهجة غامضة .

ـ ما هو الرأي الذي كونته عن هذا الرجل ، يا روديا ؟ كيف وجدته ؟

ـ أعترف لك بأن كل هذا لا يبدو لي واضحا تماما . انه يهب ثلاثة آلاف روبل ثم يدعي بأنه ليس غنيا ، وهو يصرح بأنه سيذهب فيسافر ويعود بعد عشر دقائق فينسى ما قال . انه يعلن فجأة أنه رأى أنهم وجدوا له الزوجة المنشودة ... انه ولا شك يغذي أفكارا معينة أظنها سيئة . مع ذلك لا يمكن الاعتقاد بأنه كان يغذي بالفعل أفكارا رديئة في رأسه !.. أما كيف تتصرفين ، فانني قد رفضت باسمك نهائيا كل العروض المتعلقة بالمال . لقد بدا لي على العموم غريبا نوعا ... بل وانني لاحظت عليه بعض دلائل الجنون . لكنني قد أكون مخطئا اذ أن ذلك يمكن أن يكون مجرد خدعة . يبدو أن موت مارت بيتروفنا أحزنه .

صاحت بولشيري ألكسندروفنا :

ـ ليمنح الرب روحها الراحة . انني لن أنقطع مطلقا عن الصلاة من أجلها ! ماذا كان يحدث لنا يا دونيا لولا هذه الثلاثة آلاف روبل .



CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

حقيقة أنها سقطت من السماء ! آه ! فكر يا روديا أننا هذا الصباح لم نجد معنا الا ثلاثة روبلات هي كل ثروتنا . لقد فكرنا ـ دونيا وأنا ـ أن نرهن بأقرب وقت ساعاتنا كي لا نطلب شيئا من لوجين الذي كان لا يدرك موقفنا .

كان عرض سفيدريكايلوف بالنسبة الى دونيا أمـرا غير منتظر ، لذلك راحت تفكر . وفجأة تمتمت بشبه قشعريرة :

ـ لقد بيت الرجل أمرا مريعا .

لم تفت على عيني راسكولنيكوف تـلك البـادرة مـن الخوف المتزايد ، فقال :

ـ أعتقد أنني سأجد أكثر من مناسبة واحدة لرؤيته من جديد .

هتف رازوميخين بلهجة نشيطة :

ـ لسوف نعثر على آثاره . سوف أتعقبـه ولن أدعه يغيب عن ناظري ! لقد سمح روديا بذلك . لقد قال لي منذ حين بنفسه : « اسهر على أختي » . وأنت يا أفدونيا رومانوفنا ، هل تسمحين لي بذلك ؟

ابتسمت دونيا ومدت له يدها ، غير أن ملامح وجهها لبثت تحمل طابع القلق . أما بولشيري ألكسندروفنا فقد كانت تنظر اليها بحياء اذ يبدو أن تصور تلك الثروة ـ ثلاثة آلاف روبل ـ جعلتها متحفظة .

لم تمض ربع ساعة حتى كانوا جميعا يتحدثون بحمـاسة ، وكان راسكولنيكوف بنفسه رغم احتفاظه بالسـكـوت يصغي الى الحديث باهتمام . أما رازوميخين فقد اعتلى منصة الخطـابة ... كـان يقول بحماس ملتهب :

ـ ولماذا ، لماذا تذهبان ؟ ماذا ستعملان في عزلتكما باقليمكما ؟ انكما هنا ستبقيان مع روديا ، وانكم جميعا ضرورة ملحة لبعضكم البعض ، وأيـة ضرورة ألا تفهماني ؟ عـلى الاقل امكثا أيضا بعض الوقت ...



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

واعتبراني كصديق ، كشريك . انني أؤكد لكما بأننا سنؤلف مشروعا ممتازا معا ! اصغوا الي وسأشرح لكم مشروعي بالتفصيل : لقد خطر لي هذا الصباح قبل أن يحدث شيء مما حدث ... اليكم هذا : ان لي عما ـ ولسوف أعرفكما به فهو كهل طب محترم جدا ـ وهذا العم يملك ألف روبل ويتقاضى الى جانبها جراية تكفيه وتدفع عنه الحاجة . ومنذ عامين ألح علي بأن أقبل ماله ذاك على أن أدفع له فائدة قدرها ستة بالمائة . بالطبع ان اللعبة ظاهرة ، لأنه يريد ـ بكل طيبة خاطر ـ مساعدتي بلباقة . غير أنني لم أكن في حاجة الى هذا المبلغ في العام الماضي . أما هذا العام ، فانني كنت أنتظر مجيئه بفارغ صبر لأتقبل العرض . فاذا أضفت ألف روبل الى الثلاثة آلاف روبل التي ستقبضينها ، فاننا بذلك نكون قد أوجدنا ما يلزم للشروع في شركة . اما ماذا ستعمل ؟

وهنا راح رازوميخين يشرح تفاصيل مشروعه ، فسرد باسهاب أوضاع كل أصحاب المكاتب والناشرين وأكد أنهم لا يحسنون مهمتهم ، وأن الناشرين هم عادة من أسوأ الناس بينما تكون المنشورات الجيدة ، المعنى بها ، رائجة تماما ومدرة للمال ... ذكر أنه خلال عامين استغل لحساب الآخرين فكان أبدا يحلم في أن يصبح هو نفسه ناشرا ، وصرح بأنه يعرف ثلاث لغات أجنبية كما يجب ( رغم ما ادعاه منذ ستة أيام حينما قال لراسكولنيكوف أنه لا يحسن الالمانية لأن ذلك القول كان بغية اقناعه بقبول نصف الترجمة والسلفة التي قدرها ثلاثة روبلات ، لقد كذب آنذاك غير أن راسكولنيكوف لم يؤخذ بتلك الكذبة ) . وأضاف أخيرا بحماسه المعهود :

ـ لماذا ؟ نعم لماذا ندع عملية جيدة كهذه تفلت من أيدينا عندما تكون لدينا أفضل الامكانيات لانجاحها ، وأقصد رأس المال الذي يخصنا



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بكليته ؟ لا شك أن ذلك سيقتضينا كثيرا من العمل لكننا سوف نعمل آفدونيا رومانوفنا ، وروديون ، وأنا ! ان بعض النشرات تدر حاليا أرباحا طائلة . ان ما يشجعنا ويدعمنا في مشروعنا هذا هو أننا نعرفه على الأقل ماذا ينبغي أن نترجم . لسوف نترجم وننشر ونتابع مع ذلك دراستنا . انني أستطيع الآن أن أكون نافعا بعد الخبرة التي حصلت عليها ... لقد مضى عليّ عامان وأنا محشور بين أصحاب المكاتب حتى أصبحت أعرفهم حق المعرفة ، فليس في عملهم شيء من السحر . صدقوني ! ثم لماذا ندع الفرصة تفلت منا ؟ انني شخصيا أعرفه ـ وأحتفظ بذلك لنفسي في الوقت الحاضر ـ كتابين أو ثلاثة، تدر علي مجرد فكرة ترجمتها مائة روبل عن كل منها . بينما هناك مؤلفات أخرى لن أطلع عليها أحدا ليترجمها الا لقاء خمسمائة روبل . مع ذلك فانني واثق من أنهم سوف يترددون قليلا اذا أطلعتهم عليها لأنهم عصبة من الحمقى ! أما فيما يتعلق بالناحية المادية من حفر وورق وبيع فانكما تستطيعان الاعتماد عليّ فيها لأنني ملم بأدق دقائق الموضوع ! صحيح أننا سنبدأ بشكل محدود ، غير أننا سوف نتوسع في عملنا أكثر فأكثر ، ولسوف نكسب قوتنا على الأقل ونربط بين طرفي الموارد والنفقات .

كانت عينا دونيا تلمعان سرورا ، فقالت :

ـ ان ما تقوله هنا يا دميتري بروكوفيتش يعجبني كثيرا .

وقالت بولشيري ألكسندروفنا :

ـ أنا بالطبع لا أفقه شيئا من هذا يجوز أن يكون ذلك ممتازا . الله أعلم ! ان الانسان لا يدري أبدا نتيجة أي عمل يبدؤه . غير أننا ولا شك سوف نضطر الى البقاء هنا بعض الوقت على الأقل ...

وراحت تنظر الى روديا بينما سألت دونيا :

ـ ما رأيك في ذلك ، يا أخي ؟



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فأجاب :

ـ أعتقد ان فكرته ممتازة . أما فيما يتعلق باقامة دار كبيرة للنشر فأظن أن الوقت ولا شك لا يسمح حاليا بالتفكير فيها . غير أن نشر خمسة أو ستة مؤلفات مضمونة النجاح ممكن تماما . انني شخصيا أعرف كتابا سيلقى رواجا كبيرا حتما . أما عن رازوميخين وهل يستطيع حقيقة أن يقود الأمر ، فاطمئني تماما وابعدي عن نفسك كل شيء. على أننا لن نعدم وقتا مقبلا نعاود البحث فيه حول هذا الموضوع .

هتف رازوميخين :

ـ مرحى ! والآن انتظروا : هناك مسكن في هذا البناء بالذات عائد لاصحاب هذا المسكن الذي نحن فيه . انه مؤلف من شقة مستقلة الحجرات ، فيها ثلاث غرف مؤثثة أجرتها معتدلة ، تستطيعون احتلاله في الوقت الحاضر . وسأذهب غدا لأرهن ساعتك وآتيك بالمال ثم يترتب الامر . المهم هو أن تستطيعوا العيش كلكم معا وسيكون روديا معكما .... لكن الى أين تذهب ، يا روديا ؟

سألت بوليشيري ألكسندروفنا وقد استحوذ عليها الخوف :

ـ كيف ؟ روديا ! أتذهب ؟

وهتف رازوميخين :

ـ في مثل هذا الوقت ؟

ونظرت دونيا الى أخيها بدهشة ممزوجة بالحذر . كان قد أخذ قبعته بيده واستعد للخروج فغمغم بلهجة غريبة :

ـ انكم تبدون وكأنكم ستدفنونني أو كأنني أقول الوداع للمرة الأخيرة . ثم ابتسم ابتسامة غامضة وأضاف فجأة :

ـ مع ذلك من يدري ! لعل هذه هي المرة الاخيرة التي نلتقي فيها !

كان يريد أن يهمس بهذه الجملة الاخيرة لنفسه لكنها أفلتت دون ارادة منه وقيلت بصوت مرتفع .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

صاحت الام :

ـ لكن ماذا بك ؟

وقالت دونيا بلهجة خاصة :

ـ أين تمضي ، يا روديا ؟

فأجاب ساهما ، وكأنه يتردد في نطق ما يريد قوله :

ـ يجب أن أذهب .

كان وجهه الشاحب يعبر عن عزم أكيد مقرر . قال :

ـ أردت أن أقول لكم ... عندما جئت الى هنا ... أردت أن أقول ، يا أماه ... ولك أنت أيضا يا دونيا أن من الخير لنا أن نفترق بعض الوقت . انني أشعر بأنني لست على ما يرام ، لست مرتاحا ... لسوف أحضر في المستقبل عندما ... يكون ذلك ممكنا ... انني أحفظ ذكراكما كما وأحبكما ... دعوني !.. دعوني وحيدا . انه قرار اتخذته من قبل ... نعم لقد قررت ذلك ... ومهما حدث لي وسواء مت أم لم أمت فانني أريد أن أكون وحيدا ... انسياني تماما. ان ذلك أجدى . لا تستقصيا أنبائي ... لسوف أحضر بنفسي عندما ينبغي أن أحضر أو ... سوف أستدعيكما . لعل كل شيء يتضح أخيرا !... والآن اذا كنتما تحبانني فاعزفا عن رؤيتي .. والا فلسوف أمقتكما .. انني أشعر بذلك .. الوداع !...

صرخت بولشيري ألكسندروفنا :

ـ رباه !...

كانت الأم والأخت فريسة رعب فجائي لا يوصف ، وكذلك كان رازوميخين .

صرخت الأم البائسة :

ـ روديا ... روديا . عد الينا يا بني ، لنتفق معا يا روديا ولنعد كما كنا في الماضي .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لكنه مضى ببطء متجها نحو الباب وخرج من الغرفة فتبعته دونيا وغمغمت وقد التهبت نظراتها :

ـ أخي ؟ ماذا تعمل بأمنا ؟

فتأملها طويلا ، وتمتم بصوت خافت وكأنه لا يدرك أقواله تماما :

ـ لا أهمية لذلك ، لسوف أعود ...

ثم خرج من الغرفة . صرخت دونيا :

ـ يا عديم القلب ! أيها الأناني المتوحش !

بينما همس رازوميخين في أذن الفتاة ، وهو يضغط على يدها بشدة :

ـ انه مجنون وليس أنانيا . لقد أضاع عقله! ألا ترين ذلك ! انك أنت عديمة الاحساس في هذا .

ثم أضاف محدثا بولشيري ألكسندروفنا التي كانت أقرب الى الأموات منها الى الأحياء :

ـ سأعود على الفور .

واندفع خارج الغرفة .

كان راسكولنيكوف ينتظره في نهاية الممشى فقال له :

ـ كنت أعرف أنك ستتبعني . اذهب اليهما وابقَ معهما . كن قريبا منهما غدا والى الأبد . لسوف أعود غدا . اذا أمكن . الوداع .

وابتعد راسكولنيكوف دون أن يمد له يده مصافحا ، بينما زمجر رازوميخين وهو لا يدري ماذا يعمل :

ـ لكن أين تذهب ؟ ماذا بك ؟ ماذا جرى لك ؟ كيف يمكن أن تتصرف على هذا النحو ؟

توقف راسكولنيكوف مرة أخرى :

ـ أقول لك للمرة الأخيرة : لا تسألني عن أي شيء . ليس لدي



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ما أجيبك به ... لا تأتِ الى منزلي . لعلني أعود الى هنـا ... دعني أنا . أما هما فلا تهجرهما . أبدا . هل فهمتني ؟

كان المشي مظلما قليلا وكانا يقفان قرب مصباح ، فراحا يتبادلان النظر خلال دقيقة وهما صامتين ! لسوف يذكر رازوميخين تلك الدقيقة كل حياته . كانت نظرة راسكولنيكوف الثابتة الملتهبة تبدو من حين الى آخر أشد وميضا ، تتغلغل حتى تصل الى أعماق نفسه . وفجأة اقشعر رازوميخين . لقد حدث بينهما أمر غريب اذ تسللت فكرة وراحت تتجلى .. فكرة مريعة مخيفة شعر بها كلاهما . فشحب وجه رازوميخين حتى حاكى وجوه الاموات ، بينما تقلص وجه راسكولنيكوف وبان عليه الألم وهو يقول فجأة :

ـ هل فهمت الآن ؟ عد ، ابقَ بالقرب منهما !

واستدار على عقبه بحركة عنيفة وانصرف .

لن أصف الوقائع التي حدثت ذلك المساء عند بولشيري ألكسندروفنا حينما عاد رازوميخين الى السيدتين ، ولا كيف كان يطمئنهما مؤكدا لهما أن روديا كان مريضا، وأنه كان بحاجة الى الراحة! كان يقسم لهما أن روديا لن يتأخر عن الحضور لرؤيتهما ، أنه سيحضر كل يوم ، وأنه كان في تلك اللحظة في حالة عصبية عنيفة ، وأنه لا ينبغي مشاكسته ! قال لهما بأنه هو ، رازوميخين ، سوف يسهر على روديون، وسيأتي له بطبيب ممتاز ماهر ، أحسن طبيب ، بل جمعية أطباء اذا اقتضى الأمر... وبكلمة واحدة فقد غدا رازوميخين بالنسبة اليهما منذ ذلك المساء ابنا وأخا ...



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

## ٤

مضى راسكولنيكوف لتوه نحو القنال حيث تقطن سونيا • كان البناء الذي تقطن فيه مؤلفا من ثلاث طبقات مدهـونة بدهان أخضر • توصل الى اكتشاف مكان البواب فحصل منه على ارشادات غير دقيقة حول المسكن الذي يقيم فيه الخياط كابيرناوووموف ، وعثر في زاوية من الباحة على مدخل يؤدي الى سلم ضيق معتم فارتقاه الى الطابق الثاني، وهناك سار في الممشى الذي يمتد على طول واجهة البنـاء المطـلة على الباحة • وبينما كان تائها في الظلام يتساءل بانفعال عن المدخـل الذي يمكن أن يؤدي الى حيث يقطن كابيرناوووموف ، فتح باب فجأة على بعد خطوتين منه فتعلق به بحركة لا ارادية • سمع صوتا نسائيا يهتف بصوت مرتعد :

ـ من هناك ؟

فأجاب راسكولنيكوف :

ـ هو أنا ! لقد جئت لرؤيتك !

دخل الى ردهة صغيرة ضيقة فرأى على مقعد بال شمعدانا مصنوعا من النحاس أثبتت فيه شمعة مضاءة •

هتفت سونيا بصوت خافت وقد تسمرت في مكانها :

ـ هذا أنت ؟ رباه !

ـ أين غرفتك ؟ أهي هنا ؟

ودخل مسرعا الى الغرفة وهو يجهد ألا يلقي نظرة على الفتاة • دخلت سونيا بعد دقيقة حاملة الشمعدان ، فوضعته في مكانه المعد



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

له ووقفت أمامه مضطربة فريسة انفعال خفي ، وقد روعتها هذه الزيارة غير المنتظرة • وفجأة ، اكتسحت وجهها الشاحب حمرة شديدة وتلألأت الدموع في عينيها ••• كادت أن تختنق من الانفعال وهي تشعر باحساس من الخجل الممزوج بلون من العذوبة •

استدار راسكولنيكوف فجأة وجلس على كرسي قريب من المنضدة • واستطاع بنظرة واحدة أن يشمل محتويات الغرفة كلها •

كانت غرفةواسعة ولكنها شديدة انخفاض السقف، وهي الوحيدة التي كان آل كابيرناوومو ف يستطيعون تأجيرها • كان هناك باب مغلق في الجدار الأيسر يؤدي الى حيث يقطنون ، والى الجانب المقابل له ــ في الجدار الأيمن ــ كان باب آخر مغلق بشكل نهائي• كان يبدو أن وراءه مسكنا آخر يحمل رقما آخر • كانت غرفة سونيا تشبه « غرفة المهملات » ، على شكل مستطيل غير متناسق يجعلها تبدو أكثر بشاعة ، وكان الجدار المطل على القناة والذي فتحت فيه نوافذ ، يقطع الغرفة بانحناء الأمر الذي جعل أحد زواياها الحادة جدا تغيب في العمق حتى أن ضوء الشمعة ما كان ليستطيع أن يكشف الظلام المخيم عليها • أما الزاوية المقابلة فكانت على العكس شديدة الانفراج • لم يكن في تلك الغرفة الكبيرة شيء يذكر من الأثاث ، فقد كان السرير قائما في ركن الى اليمين وبالقرب منه ــ الى جانب المنضدة ــ مقعد واحد ، وفي الجهة الثانية لمكان السرير ــ قرب الباب المغلق المؤدي الى المسكن المجاور ــ قامت منضدة من الخشب الأبيض تغطيها قطعة صغيرة من القماش الازرق ، وأمام تلك المنضدة كان هناك مقعدان من القش ! كان هناك كذلك ــ بالقرب من الزاوية الحادة ــ دولاب صغير غير مطلي يبدو ضائعا في ذلك الفراغ • هذا هو كل الاثاث الذي كان موجودا في تلك الغرفة • كانت الجدران مغطاة بورق أصفر ممزق حائل اللون ومسود



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

من كل الجهات ، والفاقة تفقأ العيون في ذلك المسكن حتى أن السرير كان بغير أغطية .

راحت سونيا تتأمل ضيفها ـ الذي كان ينظر بامعان الى الغرفة دون أي ارتباك ـ بسكون . ثم لم تتمالك أن شعرت برعدة خوف تسري في أوصالها وكأنها كانت أمام قاض يتوقف مصيرها على ما سيتلفظ به !

قال راسكولنيكوف دون أن يرفع اليها بصره :

ـ انني متأخر في هذه الزيارة ... ان الساعة قد بلغت الحادية عشرة على الاقل !

فغمغمت سونيا بلهفة مفاجئة وكأنها وجدت لنفسها مخرجا :

ـ نعم . آه ! نعم ان الساعة هي الحادية عشرة . لقد سمعتها تدق منذ حين لدى أصحاب المسكن ، ولقد سمعت دقاتها .. ان الساعة هي الحادية عشرة !

تابع راسكولنيكوف قوله بلهجة كئيبة :

ـ لقد جئت لأراك للمرة الأخيرة رغم أن هذه هي أولى زياراتي، اذ لعلني لن أراك بعد الآن ...

ـ هل ... سترحل ؟

ـ لست أدري ، لسوف يتقرر ذلك غدا .

سألت سونيا بصوت مرتعد :

ـ انك اذن لن تذهب غدا عند كاترين ايفانوفنا !

ـ لست أدري ! ان الأمر موكول بمشيئة صباح الغد ... لكنني لم أحضر من أجل هذا . لقد جئت لأقول لك كلمة ...

رفع اليها نظرة حالمة فلاحظ أنه جالس بينما لا زالت هي واقفة أمامه . هتف بصوت تغيرت رنته فغدا فجأة وديعا حانيا :



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لماذا تلبثين واقفة ؟ اجلسي !

فجلست وراح ينظر اليها برفق وحنان طيلة دقيقة كاملة .

ـ كم أنت هزيلة ! أريني يدك ! انها شفافة ! ان أصابعك تشبه أصابع الموتى !

وأخذ يدها بين يديه فابتسمت سونيا ابتسامة ضعيفة ، وقالت:

ـ لقد كنت كذلك أبدا .

ـ حتى عندما كنت تعيشين في منزلك ؟

ـ نعم ...

فقال بصوت متهدج وقد تبدلت تقاسيم وجهه فجأة واختلفت رنة صوته :

ـ طبعا ... لا شك في ذلك !

وألقى حوله نظرة أخرى ، وسأل :

ـ أهم كابيرناوومو ف الذين أجروك هذه الغرفة ؟

ـ نعم !

ـ أيقطنون هنا وراء هذا الباب ؟

ـ نعم . ان لديهم غرفة كهذه !

ـ غرفة واحدة لهم جميعا ؟

ـ نعم غرفة واحدة .

فقال بلهجة مكتئبة :

ـ لعمري ان غرفتك تخيفني ليلا لو كنت فيها .

فأجابت سونيا ، وقد بدا عليها أنها لم تتمالك بعد أعصابها :

ـ ان أصحاب الغرف كثيرو اللطف شديدو الرقة . ان كل قطع الاثاث التي في هذه الغرفة عائدة اليهم . انهم طيبو القلب وأبناؤهم لا يكفون عن زيارتي !



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ أهم تتامون ؟

ـ نعم انه أعرج وألكن . وزوجته كذلك . انهـا ليست لكنـاء فحسب بل ان الكلمات لا تريد الخروج من فمها . وهي طيبة جدا . أما هو فقد كان مملوكا سابقا ، وله سبعة أولاد أكبرهم ألكن كذلك . أما الآخرون فهم ضعفاء البنية فقط ... لكنهـم لا يجـدون صعـوبة في النطق !

وصمتت برهة ثم أردفت :

ـ لكن كيف عرفت أنت كل هذا ؟

ـ لقد حدثني أبوك عن ذلك من قبل ... لقد أطلعني على قصتك كلها ، وأنك خرجت في الساعة السادسة ، وعـدت بعد الثامنة ، وأن كاترين ايفانوفنا ركعت بالقرب من سريرك .

فارتعدت سونيا وغمغمت مترددة :

ـ لقد رأيته بوضوح اليوم !

ـ من هذا ؟

ـ أبي ! كنت أسير في الشارع غير بعيد عـن هنـا ، بالقرب من المنعطف ، وكانت الساعة بين التاسعة والعاشرة ، خيل الي أنه كان يمشي أمامي . كان لا يمكن أن يكون غيره ! لقد أردت عندئذ أن أذهب عند كاترين ايفانوفنا ...

ـ كنت تتنزهين ؟

أطرقت سونيا برأسها الى الأرض وأجابت بصوت متقطـع وقد عاد الاضطراب اليها :

ـ نعم !

ـ لقد كانت كاترين ايفانوفنا تضطهدك عندما كنت عند أبيك ، وكانت لا تتورع عن ضربك لو تسنى لها ...



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هتفت وهي تنظر اليه نظرة فيها شيء من الرعب :

— أوه ! كلا ! ماذا تقول ؟ كلا !

— اذن انك تحبينها ؟

ضمت يدها الى صدرها بابتهال وأجابت بلهجة متخاذلة موجعة وقد بدت على قسماتها آيات الألم :

— هي ؟ نعم ... وكيف ! آه ! ليتك كنت ... لو أنك فقط كنت تعرفها ! لاحظ ، انها كالطفل تماما ... ان لها عقلا مضطربا تماما ... من شدة الحزن . لكنها ذكية جدا ... كريمة ... طيبة جدا ! انك لا تعرف ذلك ! انه لا يمكنك أن تعرفه ... آه !

كانت سونيا تتلفظ بتلك الكلمات بلون من اليأس ، والألم يهزها بعنف فكانت تلوي يديها وتضغط على أصابعها ، وعاد الاحمرار الى خديها الشاحبين فكان العذاب يقرأ بوضوح في عينيها ! لا شك أن راسكولنيكوف كان قد مس وترا شديد الحساسية في نفسها . كانت تتحرق شوقا للاعراب عن وجهة نظرها ، للحديث ، للدفاع عن كاترين ايفانوفنا . كانت تقاطيع وجهها تعكس حنانا نهما اذا جاز هذا التعبير.

— تضربني ؟ لكن ماذا تقول ؟ رباه ! هي ! تضربني ! حتى ولو ضربتني ماذا في الأمر ؟ انك لا تعرف شيئا ، أبدا ... انها شديدة التعاسة ، آه ! شديدة التعاسة ، ومريضة ! انها تبحث عن العدالة ... انها نقية طاهرة ... انها تؤمن بشدة بأن العدالة ينبغي أن تكون موجودة في كل شيء ... انها تفرض وجودها فرضا ... لك أن تعذبها ما شئت فانها لن تعمل شيئا بعيدا عن روح العدل ! انها لا تعتقد بأن من المستحيل أن تشمل العدالة كل العالم ، بل انها تثور اذا قيل لها ذلك .. كالطفل تماما ! تماما كالطفل ! انها عادلة ! عادلة !

— وماذا سيحصل لك ؟



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

راحت سونيا تتفحصه بنظرها .

ـ لقد أصبحوا جميعهم عالة عليك ! صحيح أنهم من قبل كانوا كذلك ، وأن المرحوم كان يأتي اليك مطالبا بنقود ليشمل بها . لكن الآن ماذا سيحدث لك ؟

فردت سونيا بكآبة :

ـ لست أدري !

ـ هل سيلبثون هناك ؟

ـ لست أدري ، انهم مدينون بأجر مسكنهم . يبدو أن صاحبة المسكن قالت لهم اليوم بأنها تريد طردهم ، وعندئذ قالت لها كاترين ايفانوفنا بأنها لن تبقى دقيقة واحدة بعد ذلك ...

ـ وكيف يتسنى لها أن تتحدث بمثل هذا التعاظم ؟ أهي تعتمد عليك ؟

هتفت سونيا ، وقد عادت مجددا ترتعد وتنفعل كشحرور مسكين أو أي عصفور صغير آخر :

ـ آه ! كلا . لا تقل هذا ! اننا لسنا الا روحا في جسدين .

ثم راحت تسأل بحماس متزايد متقد :

ـ لكن كيف يمكن أن تكون ؟ كيف ... كيف يمكن أن تكون؟ آه ... كم ... كم بكيت اليوم ! ان عقلها مضطرب .. ألم تلاحظ ذلك ؟ مضطرب : انها تكتئب حينا ! ـ كالفتاة الصغيرة ـ خشية أن يحدث في الغد ما يزعج ، أو أن لا يكون على المائدة كل متطلباتها ... وتلوي يديها وتبصق دما وتبكي وتضرب رأسها بالجدار من اليأس حينا آخر . ثم تعود فتعزي نفسها وتضع كل آمالها فيك ، انها تقول بأنك الآن الدعامة التي ترتكز اليها ، وانها سوف تقترض مالا من مكان ما ، وتعود الى مدينتها حيث مسقط رأسها ، وانها ستصطحبني معها فتنشىء



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هنالك مدرسة للفتيات تجعلني مفتشة فيها ، وعندئذ ستبدأ بالنسبة الينا حياة جديدة فتانة ، انها تعانقني وتواسيني لأنها تؤمن بذلك . نعم انها تؤمن بشدة كالحديد بكل تخيلاتها! لكن هل يستطيع أحد أن يناقضها؟ لقد أمضت سحابة هذا النهار وهي تغسل وترتق وتدلك وتنظف. ورغم كل ضعفها ، لقد حملت لوحدها رغم كل ضعفها علبة كبيرة الى غرفتها، فلما بلغتها كانت على آخر رمق ، مما جعلها ترتمي على السرير عاجزة عن الحركة . لقد ذهبنا صباح اليوم معا الى السوق لنشتري أحذية لبوليا ولينا لأن أحذيتهما قد خلقت . غير أننا لم نكن نملك من المال ما يكفي لندفع أثمانها . كان ينقصنا مبلغ كبير وكانت الاحذية جميلة جدا وقد انتقتها بذوق لأن لها ذوقا رفيعا ــ وأنت لا تعرف ذلك ! ولما لم نستطع دفع الثمن راحت تبكي بحرقة ولوعة في دكان البائع وأمام الباعة كلهم ... آه كم كان منظرها مؤلما !

قال راسكولنيكوف بابتسامة مريرة :

ــ هيا ... انه يفهم من ذلك أنكم كنتم تعيشون على هذا الشكل !

فصاحت سونيا :

ــ وأنت ... أو لا تسبب لك ألما ؟ أنت نفسك ــ وانني واثقة من ذلك ــ أعطيتها كل ما معك رغم أنك لم تكن قد رأيت شيئا يذكر بعد ! لكنك لو رأيت كل شيء ! آه يا رب ! كم من مرة ومرة جعلتها تبكي ! كان آخر مرة في الاسبوع الفائت ، ثمانية أيام قبل وفاة أبي ! أوه كم ...! وكم من مرة ومرة تصرفت على ذلك النحو ! لقد كنت شديدة الخجل طيلة هذا اليوم حينما تذكرت ذلك كله !

كانت سونيا وهي تتحدث بهذا الاندفاع والانفعال ، تلوي يديها بعنف لكثرة ما كانت تلك الذكرى أليمة بالنسبة اليها !



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ اذن أنت القاسية ؟

أجابت وهي تبكي :

ـ نعم أنا ! أنا ! لقد جئت ذلك اليوم فقال لي أبي : « سونيا ، اقرئي لي شيئا ... ان رأسي يؤلمني ... اقرئي لي ... خذي هذا الكتاب » . وكان كتابا أعاره اياه أحد الجيران واسمه اندره سيميونوفيتش ليبيزيانينكوف ، وكان يعيره دائما كتبا غريبة ! فأجبته : « لقد أزف وقت رحيلي » . لم أكن أريد أن أقرأ لأنني كنت قد ذهبت اليهم بصورة خاصة لأعرض على كاترين ايفانوفنا « تطوبقات » . كانت اليزابيت بائعة الثياب القديمة قد أتتني بياقات وبعض من ألبسة الزينة جميلة جدا وجديدة جدا وملأى بالرسوم . أعجبت كاترين ايفانوفنا بها فوضعتها ولبستها وراحت تنظر الى نفسها في المرآة ! كانت تجدها جميلة جدا، جميلة جدا ! قالت لي: «سونيا، سونيا ، أرجوك أن تعطينيها !» . كانت تقول : أرجوك ! لأنها تشعر برغبة هوجاء لامتلاك هذه الأشياء . لكن ماذا كانت ستعمل بها ؟ انها لا تني تتذكر ماضيها ، تلك الأيام القديمة الجميلة ! كانت تتأمل نفسها في المرآة وتعجب بنفسها وهي التي لا تملك ثوبا واحدا ترتديه ، أي ثوب ! أي ثوب منذ زمن طويل ... منذ سنوات ! مع ذلك فانها لا تتطلب شيئا من أحد أبدا . انها فخورة شديدة الاعتداد بنفسها . بل انها كانت مستعدة لاعطاء نفسها وكل ما تملك وما تبقى لها . مع ذلك فقد طلبت الي في تلك المرة تلك الأشياء لشدة ما راقت في عينيها ! وأنا ، لقد كان يصعب علي أن أعطيها لها . قلت لها : « وماذا ستنفعك هذه الأشياء ، يا كاترين ايفانوفنا ؟ » نعم هذا ما قلت لها . لم يكن ينبغي أن أقوله . عندئذ نظرت الي وكانت قسمات وجهها تنطق بالحزن لأنني رفضت اعطائها تلك الاشياء . كنت أنا أتألم شديد الألم لرؤيتها على ذلك الشكل . لم يكن فقد تلك الياقات هو الذي آلمها بل كان الرفض ، الرفض في حد ذاته ! وكنت



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ألمس ذلك بنفسي .. آه ! لو استطعت العودة الى هذا الموضوع وازالة ذلك الألم ! آه أنا .. لكن ماذا .. ان كل هذا لا يعنيك في شيء !

ـ انك تعرفين اليزابيت بائعة الثياب ؟

سألت سونيا بلهجة لا تخلو من الدهشة :

ـ نعم ... لكن أنت ، هل كنت تعرفها كذلك ؟

قال راسكولنيكوف بعد سكون قصير دون أن يجيب على سؤالها :

ـ ان كاترين ايفانوفنا مصدورة وفي الدرجة الأخيرة ، ولسوف تموت قريبا !

ـ آه ! كلا ، كلا ، كلا !

كانت تصيح بهذه الكلمات وقد أخذت يديه بين يديها بحركة لاشعورية وهي ترجو ألا يحدث ما تنبأ به !

ـ لكن ذلك أجدى ! انها اذا ماتت ...

فكررت سونيا قولها مروعة ، وقد شرد ذهنها :

ـ كلا ، انه ليس أجدى ، ليس أجدى . كلا أبدا !

ـ لكن الاطفال ؟ ماذا ستعملين حينئذ بهم ؟ خصوصا وأنك لا تستطيعين أخذهم عندك !

صاحت سونيا بيأس وقد أضاعت رشدها :

ـ آه ... لست أدري !

كان واضحا أن تلك الفكرة قد خطرت لها من قبل وأن راسكولنيكوف لم يعمل أكثر من ايقاظها بعد نوم !

تابع راسكولنيكوف دون اشفاق :

ـ لكنك اذا وقعت بنفسك فريسة المرض ـ حتى ولو كانت كاترين ايفانوفنا لا زالت على قيد الحياة ـ وحملوك الى المستشفى ،



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فماذا سيحدث ؟

تقلص وجه سونيا بفعل دهشة مريعة ، وقالت :

ـ آه ! ماذا تقول ، ماذا تقول ؟ ان ذلك مستحيل .

قال راسكولنيكوف وعلى وجهه ابتسامة قاسية :

ـ كيف مستحيل ! هل أنت مؤمنة على نفسك ضد المرض ؟ اذن ماذا سيحدث لك حينئذ؟ ان كل هذه الفرقة ستصبح على بلاط الشارع . لسوف تستجدي الأم وهي تسعل وتضرب الجدار برأسها كما فعلت اليوم ، أما الأطفال فسيبكون ... حينئذ ستسقط وستنقل الى قسم الشرطة فالمستشفى حيث تموت والاطفال ...

أفلتت سونيا صرخة مكتومة ، وصاحت بصوت مختنق :

ـ آه كلا ... لن يسمح الله بذلك !

كانت قد أصغت بسكون محدقة النظر بالشاب وقد جمعت يديها في صلاة صامتة وكأن كل شيء كان يتوقف عليه . أما راسكولنيكوف فقد نهض من مكانه وراح يتمشى في الغرفة . وانقضت دقيقة . كانت سونيا واقفة منفرجة الذراعين منحنية الظهر فريسة ألم شديد .

توقف راسكولنيكوف فجأة أمامها ، وسأل :

ـ هل من سبيل لادخار بعض المال ، لابقاء بعضه للأيام السوداء ؟

غمغمت سونيا :

ـ كلا !

فأضاف بشيء من التهكم :

ـ طبعا لا . ولكن هل حاولت ؟

ـ لقد حاولت .

ـ ولم تنجحي ! هيا ان ذلك يلمس فلا مجال للسؤال !

وعاد يمشي في الغرفة من جديد . وانقضت دقيقة أخرى :

ـ انك لا تربحين مالا كل يوم .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ازداد اضطراب سونيا وشعرت بالاحمرار يكتسح وجهها فتمتمت بمجهود أليم :

ـ كلا .

قال فجأة :

ـ كذلك سيكون حال بولبا .

شعرت سونيا بتلك الكلمات تخترق قلبها كطعنة سكين فصرخت بيأس مرير :

ـ كلا ! كلا ! مستحيل ، كلا ! الله ، الله لن يسمح برذيلة كهذه.

ـ انه يسمح برذائل أشد وأكثر .

كررت الفتاة بانفعال هائل :

ـ كلا ! كلا ! سوف يحميها الله ! الله !

أجاب راسكولنيكوف بلون من السرور الأثيم ، وهو يتضاحك ويحدق في وجه الفتاة :

ـ لكن يجوز أنه لا يوجد اله !...

اكفهر وجه سونيا فجأة واكتسحت قسماتها رعدة عنيفة . وراحت تتأمله بعتاب لا يمكن الافصاح عنه . كانت تريد أن تقول شيئا لكنها لم تستطع النطق بكلمة واحدة . وفجأة انخرطت في بكاء مر أليم وهي تخفي وجهها بيديها . وأخيرا وبعد صمت قال :

ـ تقولين ان كاترين ايفانوفنا تفقد رشدها ؟ انك تفقدينه كذلك!

وانقضت خمس دقائق . كان يذرع أبدا الغرفة طولا وعرضا دون أن ينظر اليها وأخيرا اقترب منها . كانت عيناه تومضان . وضع يديه كتفيها وراح يتأمل وجهها المستطير . كانت نظرته ملتهبة عنيفة عميقة متغلغلة ، وكانت شفتاه ترتجفان بعنف ... وفجأة انحنى بحركة سريعة وارتمى على الأرض يقبل قدميها . فتراجعت سونيا وكأنها التقت



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بمجنون . والحقيقة أن وجهه كان متسما تماما بطابع الجنون .

تمتمت شاحبة ، وهي تشعر فجأة بانقباض أليم في قلبها :

ـ ماذا تعمل ؟ ماذا تعمل ؟ أمامي !

نهض فورا وقال بلهجة غريبة وهو يقترب من النافذة :

ـ انني لم أنحنِ أمامك بل انحنيت أمام آلام البشرية كلها .

عاد نحوها بعد دقيقة وقال مسترسلا :

ـ اسمعي . لقد قلت منذ قليل لأحد الأشخاص انه لا يساوي سلامة أصبعك الصغير.. وانني أضفيت اليوم على أختي شرف اجلاسها بقربك ...

صاحت سونيا مروعة :

ـ آه ! قلت له هنا ! وأمامها ؟ جلوسها بجانبي شرف ! لكنني .. فاقدة الشرف ... آه لِمَ قلت له ذلك ؟

ـ انني لم أقل ذلك بسبب قلة شرفك وخطيئتك بل بسبب ألمك الكبير .

وأضاف بشيء من الوجد :

ـ صحيح انك خاطئة كبيرة ، والأدهى أنك خاطئة لأنك دنست نفسك وبعتيها عبثا . كيف لا يكون مريعا أن تعيشي في هذه الأوحال التي تمقتينها وأن تعرفي بنفس الوقت ـ ويكفي أن تفتحي عينيك قليلا ـ أن كل ذلك لا يفيد وأنك لا تستطيعين انقاذ أحد !

ثم قال وهو فريسة لون من الاحتداد :

ـ لكن قولي لي أخيرا كيف تعيش في نفسك معا هذه القذارة وهذا الانحطاط مع العواطف النبيلة جدا المضادة لها تماما ؟ انه سيكون أجدى ألف مرة أن ينتهي المرء دفعة واحدة بغطسة في الماء بادئا برأسه.

رفعت سونيا نحوه نظرة ضعيفة كليلة مفعمة بالألم وبدت وكأن ذلك الاستنتاج لم يدهشها في شيء ، وقالت بصوت خافت :



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ وهم ؟ ماذا سيحدث لهم ؟

راح راسكولنيكوف يتأملها بشغف ، لقد قرأ كل شيء في نظرة الفتاة ! لقد فكرت اذن في مثل تلك النهاية . لعلها في يأسها فكرت كثيرا بانهاء حياتها جديا لدرجة أنها لم تعرب عن أية دهشة لدى سماعها رأيه. لم تكن تلاحظ حتى ما في تلك الافتراضات من قسوة : « اتجاه الدرس الذي كان يفرضه عليها ووجهة النظر الخاصة التي كان ينظر خلالها الى عارها » . لكن راسكولنيكوف كان يفهم تماما أنها كانت تتعذب عذابا وحشيا قاسيا ، لمجرد تفكيرها في مركزها المهين . كان يسائل نفسه : ما الذي أوقفها حتى الآن عن اتخاذ قرارها بالانتحار ؟ وعندئذ فقط فهم مبلغ حبها لأولئك الأيتام المساكين ولتلك البائسة كاترين إيفانوفنا التي كانت نصف مجنونة تأوي السل في صدرها وتخرق رأسها بالجدران.

فهم كذلك بوضوح أن سونيا بعقليتها التي حصلت عليها لن تستطيع البقاء أبدا في ذلك الموقف . كان يعتبر قدرتها على المقاومة كل هذا الوقت وهي في ذلك المركز دون أن تصاب بالجنون مسألة قائمة في ذاتها ، جديرة بالتفكير فيها . رغم أنها لم تجد في نفسها القدرة على الانتحار غرقا . طبعا ، لقد كان يفهم أن موقف سونيا ليس ليس الا ظاهرة عرضية في المجتمع رغم كثرة الظواهر المشابهة لها وللأسف . لكن تلك العقلية الطارئة وتلك النتف من الثقافة التي حصلت عليها وشرف ماضيها ، كل ذلك كان يبدو كافيا لقتلها منذ خطوتها الاولى في هذا الطريق الفاجر الذي سلكته . ما الذي يدعمها اذن ؟ انه ليس ميلها للفجور ولا شك . ان كل ذلك الخجل وكل ذلك العار ـ كما كان يرى ـ كان قد مسها بشكل آلي حتى أنه يمكن أن يقال ان قلبها لم تدخل فيه نقطة واحدة من الرذيلة الحقيقية . كان راسكولنيكوف يرى ذلك لأنها كانت واقفة أمامه على حقيقتها الحقة..



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

راح يتساءل مفكرا : « ليس أمامها الا ثلاثة سبل : الاول أن تلقي بنفسها الى القنال • الثاني أن تنزل في دار المجانين • والثالث والاخير أن تندفع في الفحشاء التي ستغلظ عواطفها وتجعل من قلبها حجرا صما » •

كانت الفكرة الاخيرة تخالف نزعاته أكثر من سواها • لكنه كان قد أصبح مرتابا بالقدرة ! فهو شاب متحرر من كثير من الاشياء لذلك لم يستطع الامتناع عن التفكير والاعتقاد في المخرج الاخير أو بالاحرى في الرذيلة التي كانت تبدو أكثر امكانا من غيرها •

راح يتساءل في سره : « لكن هل يجوز أن يكون ذلك حقيقيا ، هل يجوز أن تكون هذه المخلوقة التي تحتفظ حتى الآن بصفاء الروح قادرة على المضي في تلك البؤرة الشنيعة بملء ارادتها ؟ ألم تبدأ هذه المرحلة بالفعل ؟ ألا يجوز أن تكون الرذيلة بادية لها غير شائنة الى هذا الحد حتى احتملتها الى اليوم ؟ كلا ! كلا ! ان ذلك مستحيل كما كانت تقول سونيا منذ قليل • كلا ! ان الذي أبعدها عن القنال حتى الآن هو الخوف من الخطيئة و « هم » ••• هذا اذا لم تكن قد أضحت مجنونة بالفعل ••• لكن من الذي يقول انها ليست مجنونة ؟ ألا زالت تحتفظ بفكرها النير ؟ هل يمكن أن يتحدث المرء مثلها وأن يفكر مثل تفكيرها اذا كان يملك قواه العقلية السليمة ؟ هل يمكن أن يبقى المرء هكذا على شفا الهاوية أمام تلك البؤرة الشنيعة التي بدأ ينحدر اليها ! ثم يلوح بيده اشارة تدل على العجز ويصم أذنيه عندما يحدثونه عن الخطر؟ ماذا بعد ؟ أليست تنتظر معجزة ؟ نعم لا شك أنه كذلك • أليست هذه دلالات الجنون ؟

توقف بعناد امام هذه الفكرة • بدا له أن ذلك المخرج بالذات أفضل من أي مخرج آخر ، راح يعاين الفتاة بنظرة طويلة ثم سألها :



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ على ذلك يا سونيا فانك تصلين كثيرا الى الله ؟

نظرت اليه سونيا بصمت . كان يقف بالقرب منها منتظرا جوابها ، فغمغمت بسرعة وبصوت مثير وهي تلقي اليه نظرة خاطفة من عينيها الملتمعتين وتأخذ يده في يديها فتضغط عليها بشدة :

ـ ماذا يحل بي لولا الله ؟

حدث نفسه قائلا : « انه الجنون ولا شك » . ثم سألها راغبا في المزيد :

ـ لكن هذا الله ، ماذا يعمل من أجلك ؟

صمتت سونيا طويلا وكأنها لا تستطيع الجواب،بينما انتفض صدرها الضعيف وارتفع . صاحت فجأة ، وهي تنظر اليه بغضب وقسوة :

ـ اصمت ! لا تسألني . انك لا تساوي ...

عاد راسكولنيكوف يحدث نفسه بعناد : «انه جنون ! انه لكذلك».

غمغمت بسرعة ، وقد أعادت نظراتها لتطرق بها الى الارض :

ـ انه يعمل كل شيء .

فقال راسكولنيكوف في سره وهو يتأملها بفضول زائد : ذلك هو الحل ، الحل المفسر ! » .

راح يتأمل ذلك الوجه الصغير الشاحب الهزيل غير المتناسق ، وتينك العينين الزرقاوين القادرتين على ارسال مثل تلك الومضات وعكس تلك التعابير الصارمة العنيفة ، راح يتأمل ذلك الجسد الناحل الذي لا زال يرتجف من الغضب والاستنكار ، راح يتأمل كل هذا بشعور جديد غريب مرضي تقريبا فوجده يزداد غرابة في نظره بل ويبلغ مرتبة الخيال. أكد لنفسه قوله : « مجنونة ! مجنونة » .

كان على الدولاب كتاب لاحظه في غدواته وروحاته . فحمله وراح يتفحصه : كان نسخة من « العهد الجديد » المترجم الى الروسية . كان



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الكتاب قديما ملصقا ومجلدا بقطعة من الجلد .

صاح يسألها وهو في الطرف الاقصى من الغرفة، بينما هي في مكانها على بعد ثلاث خطوات من المنضدة :

ـ من أين جاء هذا ؟

أجابت ، وكأنها مرغمة دون أن ترفع اليه عينيها :

ـ لقد جاؤوني به .

ـ من الذي جاءك به ؟

ـ اليزابيت ! لقد طلبته اليها .

فكر في سره قائلا : « اليزابيت ! هذا غريب ! » . كان كل شيء عند سونيا يزداد غرابة ودهشة في نظره من حين الى آخر . قرب الكتاب من الشمعة وراح يقلب صفحاته ثم سألها فجأة :

ـ أين يتحدثون فيه عن أليعازر ؟

لبثت سونيا مطرقة بعينيها الى الارض لا تجيب . كانت تقف بعيدة عن المنضدة قليلا .

ـ بعث أليعازر ، أين هو ؟ أوجديه ، يا سونيا !..

كانت تنظر اليه من جانب عينيها . غمغمت بخشونه دون أن تتقدم نحوه خطوة واحدة :

ـ ليس هنا ... انه في الانجيل الرابع .

قال :

ـ جدي المقطع واقرئيه لي !

ثم جلس متكئا بمرفقيه الى المنضدة مسندا رأسه الى يده ناظرا جانبا بكآبة ومستعدا للاصغاء . كان يحدث نفسه قائلا : « أظن أنني سأكون « هنالك » خلال ثلاثة أسابيع ، هذا اذا لم يكن أسوأ من ذلك ايضا » .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

اقتربت سونيا من المنضدة مترددة • كانت تشعر بايمان ضعيف ازاء مطلب راسكولنيكوف الغريب • مع ذلك فقد أخذت الكتاب •

سألت ، وهي تنظر اليه عبر المنضدة بصوت عال يبدو أكثر خشونة :

ـ ألم تقرأه من قبل ؟

ـ كان ذلك منذ بعيد ••• عندمـــا كنت أذهب الى المدرسة ••• اقرئي •••

ـ أو لم تسمعه في الكنيسة ؟

ـ ما ••• كنت أذهب اليها • لكن أنت ، أتذهبين غالبا ؟

غمغمت سونيا :

ـ كلا !

تضاحك راسكولنيكوف :

ـ فهمت ••• وعلى ذلك فانك لن تحضري غدا مأتم أبيك • غدا ••

ـ سأذهب• بل انني كنت في الكنيسة الاسبوع المنصرم ، واستقرأت صلوات •

ـ لمن ؟

ـ لاليزابيت التي قتلوها بضربات فأس •

كانت أعصاب راسكولنيكوف تزداد توترا وانفعالا، وبدأت رأسه تدور •

ـ هل كنت صديقة اليزابيت ؟

ـ نعم ••• لقد كانت عادلة ••• كانت تأتي عندي ••• نادرا •• ما كانت تستطيع • كنا نقرأ معا ، كنا نتحدث ••• سوف ترى الله •

كانت تلك الكلمات الأخيرة المنقولة بأمانة عن الكتب تدوي في أذنيه بشكل غريب ، ثم هناك خبر جديد ! تلـك الاتصـالات السرية الغامضة بين اليزابيت وسونيا وكلتاهما مهووستان بالتصوف •

فكر في نفسه : « علني سأصبح مثلها • ان ذلك معد » •



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

صرخ فجأة بصوت ملحاح غاضب :

ـ اقرئي ...

كانت سونيا تتردد أبدا وكان قلبها يخفق بعنف • كان يبدو عليها أنها لا تجرؤ على القراءة • نظر اليها بشيء من الألم : « يا للمجنونة المسكينة ! » •

غمغمت بصوت منخفض يكاد أن يختنق :

ـ ماذا يجديك ذلك ؟ طالما أنك لا تؤمن !

ألح قائلا :

ـ اقرئي ، أريد أن تقرئي • كنت تقرئين لاليزابيت •

فتحت سونيا الكتاب وبحثت عن المقطع • كانت يداها ترتجفان وصوتها مختنقا • حاولت مرتين أن تقرأ ، وفي كلتا المرتين لم تستطع أن تتفوه بكلمة واحدة • وأخيرا نطقت بمجهود جبار :

ـ « كان يوجد مريض ، أليعازار من بيتاني (١) ... »

لكنها لم تكد تبلغ الكلمة الثالثة ويتجاوب صوتها حتى تحطم فجأة وكأنه وتر شدَّ كثيرا فانقطع • أعوزها التنفس ، وشعرت بقلبها يعتصر •

كان راسكولنيكوف يفهم جزئيا السبب الذي من أجله لم تكن سونيا تستطيع تقبل القراءة • وكلما ازداد فهما للسبب ، ازداد الحاحا خشنا فظا ، مطالبا اياها بالقراءة • كان يفهم بوضوح أنها ستتألم اذ تكشف له في تلك اللحظة عما تعتبره أخص خصوصياتها • أدرك أن تلك العواطف تشكل لديها لونا مما يدعى سرها الحقيقي ! ولعل ذلك راجع الى طفولتها عندما كانت لا تزال بين أسرتها ، بين أبيها التعس

---

(١) قرية فلسطينية من جبل الزيتون واورشليم تدعى اليوم «العازارية» ـ المترجم ـ •



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وزوجته التي جنت من الحزن ، وبين أطفال يضري الجوع أحشاءهم ، في ذلك الوسط الذي لا تنبعث منه الا الفضائح الصاخبة والتأنيب . لكنه كان يعرف بنفس الوقت ، ويعرف جيدا ، أنها على الرغم من خوفها العنيف من القراءة ، فانها كانت بشوق اليها ، شوق يبلغ مرتبة الألم ، وأنها رغم حزنها ومخاوفها في شوق الى أن تقرأ ـ له ـ لكي يسمع ، وخصوصا الآن رغم ما يمكن أن يحدث نتيجة ذلك ... كان يقرأ تلك الرغبة في عينيها ، وكان يفهمها من الاضطراب الحماسي الذي يسيطر عليها ... توصلت أخيرا الى السيطرة على نفسها فأزاحت تلك الغصة التي أطبقت على حنجرتها منذ الآية الأولى ، وراحت تقرأ الفصل الحادي عشر من الانجيل تبعا للقديس يوحنا . وبلغت الآية التاسعة عشرة :

« كثير من اليهود جاؤوا الى مرتا (١) ومريم ليعزيانهما بشأن أخيهما . ومنذ أن علمت مرتا بقدوم يسوع ذهبت لاستقباله ، بينما مريم جالسة في المنزل . قالت مرتا ليسوع : أيها المولى ، لو أنك كنت هنا لما مات أخي . لكن الآن أيضا أعرف أن كل ما تطلبه من الله يمنحه الله لك »

لما بلغت هذه المرحلة توقفت مرة أخرى وهي تشعر بالخجل لأن صوتها كان مرتعدا يتحطم من جديد :

« قال يسوع لها : سيبعث أخوك . أجابته مرتا : أنا أعرف انه سيبعث يوم البعث في اليوم الآخر . قال لها يسوع : انني أنا البعث وأنا الحياة ، كل من يؤمن بي ولو كان ميتا سيحيا ، وكل من هو حي ويؤمن بي لن يموت أبدا . هل تؤمنين بذلك ؟ .

وعلى الرغم من الصعوبات التي كانت تشعر بها عندما كانت

---

(١) ترجمت آيات الانجيل الواردة في هذا النص بكل امانة ولم تنقل من الانجيل نفسه، فاذا وجدفيها بعض من عدم المطابقة الحرفية فان السبب واضح ومنظور



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تتنفس ، فان سونيا كانت تقرأ بوضوح وقوة كما لو كانت هي نفسها تعلن ايمانها !

قالت له نعم أيها المولى أنا أؤمن أنك أنت المسيح ابن الله الذي كان يجب أن تأتي الى هذا العالم .

كادت أن تتوقف وأن تلقي عليه نظرة مختلسة ، لكنها تمالكت نفسها بسرعة وتابعت القراءة . كان راسكولنيكوف يصغي اليها وهو جالس لا يتحرك ولا يدير رأسه ، متكئا بمرفقيه الى المنضدة وملقيا ببصره الى الجانب . بلغت الآية الثانية والثلاثين .

« عندما وصلت مرتا الى المكان الذي كان فيه يسوع ورأته ارتمت على قدميه وقالت له : أيها المولى ! لو أنك كنت هنا فان أخي ما كان ليموت . نظر اليها يسوع وهي تبكي ، هي واليهود الذين كانوا يصحبونها ، فارتعد في فكره واستسلم لانفعاله وقال : أين وضعتموه ؟ — فأجابوه : أيها المولى تعال وانظر . وبكى يسوع . قال اليهود : أنظروا كم كان يحبه ! . لكن بعضا منهم قالوا : ألا يستطيع وهو الذي فتح عيون مولود أعمى أن يعمل على ألا يموت هذا الرجل.

استدار راسكولنيكوف نحوها ونظر اليها بانفعال . نعم ، انه كذلك ! لقد كانت ترتجف كلها فريسة حمى حقيقية . لقد كان يتوقع ذلك . كانت تقترب من القراءة المتعلقة بالمعجزة الخارقة فاستحوذ عليها شعور بالفخار . راح صوتها يهتز مدويا كالمعدن ، وكانت لهجة النصر والفرح هي التي تعطيه تلك القوة وذلك الجلد . كانت الأسطر تتراقص أمام عينيها المخضلتين بالدموع، لكنها كانت تعرف عن ظهر قلب ما كانت تقرأ . وعندما بلغت الآية الأخيرة : « ألا يستطيع وهو الذي فتح عيني طفل أعمى بالولادة .. » كانت تعبر عن اضطراب ولوم ومطعن أولئك اليهود العميان الجاحدين الذين سوف يخرّون ساجدين على ركبهم منتحبين ومؤمنين بعد دقيقة واحدة ، وكأن صاعقة انقضت عليهم ...



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كانت تعبر عن ذلك بصوتها المنخفض وحماسها المتقد ... وهو ، هو الأعمى كذلك والجاحد ، هو كذلك بعد لحظة سوف يسمع ، هو أيضا سوف يؤمن نعم ! نعم ! حالا وفي هذه اللحظة ...

كانت تفكر في ذلك ، وهي ترتعد بانتظار اللحظة المفرحة .

« ارتعد يسوع اذن في نفسه ومضى الى اللحد : كان كهف صغير وضع عليه حجر كبير . قال يسوع « ارفعوا هذا الحجر » . قالت له مرتا أخت الذي كان ميتا : « أيها المولى ان الرائحة تنبعث منه لأنه قد مضى عليه أربعة أيام هنا »

وضغطت سونيا بشدة على كلمة « أربعة » .

« قال لها يسوع : ألم أقل لك انك اذا آمنت فسوف ترين مجد الله ؟ » ارفعوا اذن الحجر . ورفع يسوع عينيه الى الأعلى وقال: «أبي، انني أشكرك من أجل كل ما استجبت لي به . أنا أعرف أنك تستجيب لي دائما لكنني قلت هذا بسبب هذا الجمع الذي يحيط بي لكي يؤمنوا بأنك أنت الذي أرسلتني » . وبعد أن قال ذلك صرخ بصوت قوي: « أليعازر أخرج » وخرج الميت ...

قرأت هذه الكلمات بصوت قوي منتصر . كانت ترتعد وكان جسمها متجمدا وكأنها ترى ذلك المشهد بأم عينيها .

« ... وقدماه ويداه موثوقة بالأربطة ووجهه محجوب بكفن . قال لهم يسوع : « حلوا وثاقه ودعوه يذهب » .

« كثير من بين اليهود الذين جاؤوا بالقرب من مريم ومن مرتا والذين رأوا ما عمل يسوع فآمنوا به » .

توقفت عند هذا الحد لأنها لم تستطع الاستمرار، وأغلقت الكتاب ونهضت بعنف .

تمتمت بصوت قاس مرتعش :

ـ هذا كل ما يتعلق ببعث أليعازر .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ولبثت جامدة تنظر جانبا ولا تجرؤ على رفع عينيها الى راسكولنيكوف احتشاما . كان ارتعادها المحموم متواصلا ، وكانت الشمعة المستهلكة في الشمعدان العتيق منذ أمد طويل لا تكاد تضيء تلك الغرفة الحقيرة حيث وقف القاتل والعاهرة ـ ويا للدهشة ـ والتقيا لقراءة كتاب أزلي ، ومضت خمس دقائق أو أكثر .

قال راسكولنيكوف فجأة بصوت عنيف ، وهو يقطب حاجبه وينهض مقتربا من سونيا :

ـ لقد جئت أحدثك بشيء ما .

رفعت اليه عينيها بسكون ، فكانت نظرة راسكولنيكوف تفضح تصميما مخيفا . قال :

ـ اليوم هجرت أسرتي : أمي وأختي . لن أعود اليهما بعد اليوم. لقد حطمت كل رباط بيننا .

سألت سونيا مضطربة :

ـ لماذا ؟

كان لقاؤها القريب مع أم راسكولنيكوف وأخته قد أحدث في نفسها شعورا خارقا لم تكن تستطيع تحديده . لذلك تلقت خبر ذلك الانقطاع بارتياع .

أضاف راسكولنيكوف :

ـ الآن لم يعد لي سواك . لنذهب معا ... لقد جئت اليك . اننا ملعونان كلانا . وعليه لنذهب معا .

كانت عيناه تومضان. فكرت سونيا بدورها: «انه يبدو مجنونا». سألت برهبة ، وهي تتراجع رغم ارادتها .

ـ نذهب الى أين ؟

ـ وهل أدري ؟ انني أعرف فقط أن أمامنا طريقا واحدا علينا اجتيازه . انني أعرف هذا حقيقة ولا شيء أكثر من هذا ... ان هدفنا



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كذلك موحد .

كانت تنظر اليه دون أن تفهم . كانت لا تفهم الا أمرا واحدا : هو أنه تعيس بشكل مريع .

أضاف :

ـ لن يفهمك أحد منهما اذا تحدثت اليهما . أما أنا فقد فهمتك . انك ضرورة لي ولذلك جئت اليك .

همست سونيا :

ـ لست أفهم .

ـ سوف تفهمين فيما بعد . ألم تعملي مثلي ؟ انـك أنت أيضا خرقت القاعدة ... لقد استطعت خرقها . لقد رفعت يدك ضد نفسك، لقد حطمت حياتك ... حياتك أنت والقضية سيان . كان يمكنك أن تعيشي بالفكر والعقل ، واذا بك تنتهين الى سوق العلف !... لكنـك لن تستطيعي المقاومة . واذا لبثت وحيده لسوف تفقدين عقلك مثلي . انك منذ الآن أشبه بالمجانين ، وعلى ذلك فانه يفيدنا أن نمضي معا، أن نتبع طريقا واحدة . لنذهب !

تمتمت سونيا ، وقد أخذت بهذه الكلمات بعنف غريب :

ـ لماذا ؟ لماذا تقول ذلك ؟

ـ لماذا ؟ لأنه يستحيل البقاء هكذا . هذا هو السبب ! يجب أخيرا أن تنفضي يدك جديا وأن تنظري الى الأمور كما هي بدلا من البكـاء والصياح بأن الله لن يسمح بذلك ! قولي لي ماذا سيحدث اذا حمـلت غدا الى أحد المستشفيات لسبب جدي ؟ ان الأخـرى قد فقـدت عقلها وهي مصدورة ، ولسوف تموت قريبا فماذا سيحـل بـالأطفال ؟ هـل تستطيع بوليا الا أن تخسر نفسها؟ ألم تري في الشوارع بعضا من أولئك الأطفال الذين ترسلهم أمهاتهم ليتسولوا وليطلبوا الاحسان ؟ لقد عرفت أين وكيف يعيش أولئك الأمهات ! وان في مثل تلك الأمكنة يستحيل



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

على الأطفال أن يبقوا أطفالا . ففي سن السابعة يفجر الطفل ويسرق . مع ذلك فان الأطفال صورة المسيح : « ان ملكوت الله يخصهم ! » لقد أمر أن نحترمهم ونحبهم لأنهم الانسانية المقبلة ...

كررت سونيا القول ، وهي تلوي يديها وتنتحب بهستيرية :

ـ ما العمل اذن ؟ ما العمل ؟

ـ ما العمل ؟ ينبغي العزوف نهائيا ولا شيء أكثر ، واحتمال الألم شخصيا ! ماذا ؟ ألا تفهمين ؟ لسوف تفهمين في المستقبل ... الحرية والقوى قبل كل شيء ، القدرة ! السيطرة على جميع المخلوقات المرتعدة وكل بيوت النمل . ذلك هو الهدف . اذكريه جيدا ! هذا هو الطريق الذي أبينه لك ! لعلني أتحدث للمرة الأخيرة . واذا لم أحضر غدا فسوف تعلمين كل شيء بنفسك وعندئذ تذكري كلماتي . وفي المستقبل، مع الزمن ، بعد عام من اليوم ، لعلك تفهمين ماذا تعني تلك الكلمات . اذا جئت غدا لسوف أقول لك من قتل اليزابيت . الوداع !...

ارتعدت سونيا من الذهول ، وسألت وهي متجمدة من الخوف تتأمله بشرود :

ـ لكن هل تعرف من الذي قتلها ؟

ـ أعرفه وسأقوله لك ... لك أنت وحدك ! انك أنت التي انتقيتها . لن أحضر غدا لأطلب صفحك ، بل سأقوله لك بكل بساطة. لقد انتقيتك منذ زمن بعيد لأقوله لك . منذ الوقت الذي حدثني أبوك عنك وكانت اليزابيت على قيد الحياة كنت أفكر في ذلك . الوداع . لا تمدي لي يدك ! الى الغد ...!

خرج . وكانت سونيا تنظر اليه نظرتها الى مخبول . لكنها كانت نفسها كمخبولة أيضا وكانت تشعر بذلك . تسعرت بدوار في رأسها : « رباه ! كيف يعرف قاتل اليزابيت ؟ ماذا كانت تعني كلماته ؟ ان ذلك غريب ! » رغم ذلك فان « الفكرة » لم تخطر لها على بال مطلقا . « آه



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كم هو تعيس تعاسة مريعة !.. لقد هجر أمه وأخته . لماذا ؟ ماذا حدث؟ ما هي نواياه ؟ ماذا قال لي ؟ لقد قبل قدمي وقال لي ... لقد قال لي ــ نعم ، تلك هي كلماته ــ انه لن يستطيع العيش بدوني ... رباه ! » .

أمضت سونيا ليلتها فريسة الحمى والهذيان . كانت تنتفض أحيانا فتبكي ، وتلوي يديها وتستغرق في نوم محموم أحيانا أخرى . رأت في الحلم بوليا وكاترين ايفانوفنا واليزابيت وقراءة الانجيل وهو ... هو، بوجهه الشاحب وعينيه المتقدتين يقبل قدميها ويبكي ...آه ! زباه !

ووراء الباب الأيمن ، وراء ذلك الباب الذي يفصل مسكن سونيا عن مسكن جيرترود كارلوفنا ريسليش كانت تقوم حجرة ملاصقة، كانت خالية منذ زمن طويل وكانت تابعة لمسكن السيدة ريسليش التي كانت تريد تأجيرها بدلالة اللوحة الموضوعة على الباب الخارجي والأوراق الملصقة على زجاج النوافذ المطلة على القنال . كانت سونيا منذ بعيد قد اعتادت اعتبار تلك الغرفة خالية غير مسكونة ، ومع ذلك فقد كان السيد سفيدريكايلوف قابعا طوال ذلك الوقت في الغرفة الخالية وأذنه الى الباب يسترق السمع . وعندما خرج راسكولنيكوف لبث برهة يفكر ثم عاد على أطراف قدميه الى غرفته الملاصقة للغرفة الخالية فجاء بمقعد وعاد يضعه دون ضجة لصق الباب الذي يصل بين غرفة سونيا والغرفة الخالية . لقد بدا له الحديث مهما جديرا بالاستماع اليه ، لقد أحس بسرور عميق ورغبة عنيفة حتى أنه جاء بذلك المقعد ليستطيع في المرة القادمة ، منذ الغد مثلا ، أن يجنب نفسه عناء الوقوف ساعة كاملة، فيجلس بكل راحة وهدوء ، كي يصبح سروره في المرة المقبلة أكثر كمالا من جميع وجهات النظر .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

## ٥

صباح اليوم التالي ، قدم راسكولنيكوف نفسه في الساعة الحادية عشرة الى قسم البوليس ـ حيث كان قاضي التحقيق يشغل مكتبا خاصا ـ وأعلن عن قدومه لبورفير بيروفيتش. أدهشه أن ينتظر طويلا قبل أن يستقبل ، اذ انقضت عشر دقائق على الاقل قبل أن يدعى للدخول ، بينما كان ينتظر ـ بحسب تخميناته ـ أن يلقوا بأنفسهم عليه حالما يصل . لبث بانتظار استدعائه ، واقفا في غرفة الانتظار بين عدد من الناس يروحون ويغدون حوله دون أن يبدو على أحد منهم أنه يلتفت اليه أو يهتم بشأنه . وفي الغرفة التالية التي كانت تشبه مكتبا رسميا، كان عدد من الكتاب منهمكين في الكتابه حتى أنه كان من الواضح أن أيا منهم لا يضمر أية فكرة نحوه ولا يدري سبب وجوده هناك . كان يجيل حوله نظرة متشككة قلقة ويتساءل : ألا يوجد مخبر أو شرطي سري ما مكلف بمراقبته وبالتالي بمنعه من الخروج ؟ لكن شيئا من هذا القبيل لم يكن موجودا ، لم ير حوله الا كتبة متواضعين منهمكين في أعمالهم ، وأشخاصا آخرين لم يكونوا يعيرونه التفاتا، بل كانوا يتركون له حرية التنقل في أربع زوايا المكان ! راحت فكرة تتركز في رأسه بشدة وحزم : لو أن ذلك الشخص المجهول الذي ظهر أمس ، ذلك الشبح الذي انشقت عنه الأرض ، كان يعرف كل شيء ، وكان قد رأى كل شيء ، فهل كانوا يتركونه ـ هو راسكولنيكوف ـ ينتظر كل هذا الوقت بهدوء وراحة حيث هو ؟ هل كانوا سينتظرون الساعة الحادية عشرة لكي يتعطف أخيرا ويزعج نفسه بالحضور لتقديم افادته ؟ اذن ..



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

اما أن يكون ذلك الرجل لم يش به بعد ... أو أنه كان ـ بكل بساطة ـ لا يعرف شيئا ولم يرَ شيئا بأم عينيه . ثم كيف كان يمكنه أن يرى؟ على ذلك فان كل ما وقع له البارحة ـ هو راسكولنيكوف ليس الا وهما وتخيلا راحت مخيلته تجسمه له بسبب شدة تهيجه ومرضه .

كان قد تصور أمس هذه النتيجة بالذات أثناء غمه الشديد ويأسه، وبينما هو يفكر في هذا كله ويهيىء نفسه لصراع جديد شعر فجأة بأنه يرتعد ، فراح يغلي غيظا عندما فكر بأن ارتعاده هذا راجع الى خوفه من الظهور أمام ذلك البغيض : بورفير بيتروفيتش . كان لقاء ذلك الرجل من جديد شديد الرهبة في نفسه ، كان يمقته الى أقصى حدود المقت ، مقتا لا حد له ، ويخشى بعد ذلك أن يفضح نفسه بنفسه بشكل من الاشكال بسبب ذلك البغض . كان غضبه من الشدة حتى أن رعدته زالت تماما ، واستعد للدخول بهيئة يبدو عليها البرود والتثاقل وأقسم في سره على أن يتكلم بأشد اختصار ممكن وأن يفتح أذنه وعينه ، وأن يسيطر هذه المرة على مزاجه الذي تبلغ فيه سرعة الغضب مبلغا مرضيا مهما كانت الأسباب ... وفي تلك اللحظة أدخل الى حضرة بورفير بيتروفيتش !

كان بورفير بيتروفيتش في تلك اللحظة وحيدا في مكتبه . وكان ذلك المكتب عبارة عن غرفة لا كبيرة ولا صغيرة ، فيها مكتب كبير وضع قباله أريكة مغطاة بقماش مشمع ، ودولاب صغير وخزانة في ركن آخر مع بعض المقاعد . وكانت هذه القطع كلها مقدمة من الادارة مصنوعة من الخشب الاصفر الذي راح طلاؤه يتساقط . وفي الحاجز القائم في صدر المكان ، كان هناك باب مغلق يدل على وجود غرف أخرى وراء ذلك الحاجز .

لما أدخل راسكولنيكوف ، أغلق بورفير الباب وراءه مباشرة ، ولبث كلاهما في خلوة .استقبله بوجه شديد الجذل وبمظهر كثير



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الايناس ، واستطاع راسكولنيكوف بعد دقائق معدودة أن يلمس بعض الدلالات التي تثبت أن نوعا من الارتباك كان قائما في نفس بورفير : كان يبدو كأنه فقد الأثر الذي كان في يده ، وأنه أزعج وشوش باله بأعمال معينة . هتف بورفير ، وهو يمد ذراعيه نحوه :

ـ آه ! أيها الباسل ! ها أنت ذا ... في نواحينا ! هيا أجلس ، أيها الطيب ! لكن لعلك لا تحب أن أناديك بـ : «أيها الباسل» و «أيها الطيب » فقط دون الاسم . لا تلقَ بالك الى هـذا أرجوك ، لا نعتبره تكلفا ... هنا ... اجلس على الاريكة .

جلس راسكولنيكوف دون أن يبارح عيناه وجه بورفير . راح يتساءل في سره : « في نواحينا » ، وذلك الاعتذار عن أنسه وهو عبارة فقط دون الاسم الخ ... ان كل ذلك بشكل أدلة بينة ! لقد مد الي يديه ولم يعطني واحدة منهما اذ سحبهما في الوقت المناسب !

كان راسكولنيكوف يفكر بحذر في كل هذه الامور ، وراح كلاهما يراقبان بعضهما بعضا لكنهما كانا يغضان طرفهما بسرعة البرق كلما التقت أبصارهما .

ـ لقد جئتك بمعروض يتعلق بالساعة ... ها هوذا ... هل هو مناسب على شكله الحالي ، أم ينبغي تبديله ؟

قال بورفير ، وكأنه كان على عجلة من أمره بسبب عمل ما :

ـ ماذا ؟ أي معروض ؟ نعم نعم ... لا تزعج نفسك ... انه مناسب جدا ...

لم يلقِ نظرة على « وريقة » راسكولنيكوف الا بعد أن أكد صلاحها دون أن يراها ، ولما نظر اليها استرسل بلهجته السريعة :

ـ نعم ... ان ذلك حسن ، لا حاجة الى شيء آخر .

ثم وضع المعروض على مكتبه . ولم تمضِ دقيقة ـ وبينما كانا



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يتحدثان بشأن آخر ـ أخذ تلك الورقة ووضعها بعناية في الدولاب.

قال راسكولنيكوف :

ـ خيل الي أنك حدثتني البارحة عن رغبتك في استجوابي ... قانونا ... بصدد علاقاتي مع ال ... مرأة القتيل !

مرت في خاطره بسرعة البرق فكرة فناجى نفسه: «لم أضفت كلمة ( خيل الي ) ؟ لكن فكرة أخرى ترددت في ذهنه بمثل سرعة الأولى اذ قال : لم أقلق بهذه الشدة لمجرد أنني أضفت كلمة ( خيل الي ) ؟ » .

وفجأة شعر بأن اتصاله مع بورفير وتلك الكلمات القليلة المتبادلة بينهما ، وتلك النظرات المتعاقبة ، هي وحدها التي جسمت في نفسه ذلك الحذر العجيب ... وأن ذلك كان شديد الخطورة ...

«عادت أعصابي الى التهيج... لسوف أفضح نفسي من جديد» .

غمغم بورفير ، وهو يذرع مكتبه ويدور حول المنضدة :

ـ حسنا ... حسنا ، حسنا ! لا تبتئس ! لدينا الوقت الكافي، لدينا الوقت الكافي !

لكنه بدا وكأنه لم يفكر في ذلك مطلقا ، اذ راح يلقي النظر الى الشارع من خلال زجاج النافذة ثم يعود الى مكتبه أو الى المنضدة تارة أخرى ، وتارة يتحاشى نظرة راسكولنيكوف المرتابة ثم يتوقف ليحدق في ثبات عينيه تارة أخرى . كان منظره ، وهو الرجل الضخم المستدير، كالكرة التي تتدحرج من جهة الى أخرى ، ثم تقفز من جديد بين الجدران الاربعة ، يثير الفضول !

ـ لدينا الوقت ، لدينا الوقت ... آه ! هل تدخن ؟ هل لديك تبغ ؟ ها هي ذي سيجارة . انك تعرف بأنني أستقبلك هنا ... لكن مسكني وراء هذا الحاجز ، هنا أيضا ... انني أقطن هنا على نفقة الدولة ، أما في الوقت الحاضر فانني غير مستقر الى حين . كان ينبغي الاعتناء بهذه الترميمات هنا . لقد انتهت تقريبا.. هل تعرف أن الاسكان



CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

على نفقة الدولة شيء معروف ؟ هم ؟ ما رأيك فيه ؟

أجاب راسكولنيكوف وهو ينظر اليه نظرة فيها سخرية :

ـ نعم ... انه أمر معروف !

كرر بورفير بيتروفيتش الذي كان يبدو شارد الذهن :

ـ أمر شهير ... أمر معروف ... أمر مشهور !

ثم توقف على بعد خطوتين من راسكولنيكوف وراح يحدق في وجهه . كان ذلك الترديد الرتيب « ان ايواء الشخص من قبل الدولة أمر معروف ، بديع ... شهير » وذلك البرود يتناقضان بشدة مع تلك النظرات الجديه الغامضة التي كان يصوبها الى زائره في تلك اللحظة . لكن هذا ما كان الا ليزيد غضب راسكولنيكوف حتى أنه لم يستطع الامتناع عن اعلان تحد طائش بمظهره الاستفزازي !

قال فجأة ، وهو ينظر اليه في شيء من الوقاحة وكأنه يشعر بلون من التلذذ في تلك الوقاحة :

ـ أتدري أن هناك قاعدة حقوقية ، أو أسلوبا حقوقيا ينهج عليه قضاة التحقيق ويتبعونه : وهو يقضي بالتحدث بالحماقات أو بأشياء جدية خارجة تماما عن الموضوع بقصد تنشيط أو بعبارة أصح تلهية الشخص المستجوب ، وتخدير يقظته ، ثم الانهيال على رأسه فجأة بالسؤال القاتل شديد الخطورة . أليس كذلك ؟ أعتقد تماما أن هذه القاعدة لا زالت تتبع بكل دقة حتى الآن .

قال بورفير بيتروفيتش وهو يغمز بعينه ، وقد طفح وجهه بأمارات الوداعة والمكر وزالت التجعدات عن جبينه وغدت عيناه ضيقتين وتمددت قسمات وجهه وراح ينظر فجأة في عيني راسكولنيكوف :

ـ هكذا ... هكذا اذن تفكر بأنني حدثتك عن المسكن المقدم من قبل الدولة لكي ... هم !

انفجر ضاحكا ضحكة عصبية طويلة هزت جسمه بعنف . كاد



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

راسكولنيكوف أن يشاطره الضحك بأن يرغم نفسه قليلا عليه لمجاراته، لكن بورفير عندما وجد أنه على وشك الضحك ، غرق في حماسة فظيعة صبغت وجهه بلون قرمزي فتخطى راسكولنيكوف حدود التعقل : توقف عن الضحك وقطب حاجبيه وراح يتأمل بورفير بنظرة طويلة حاقدة طيلة نوبة الضحك التي استولت عليه والتي بدت مصطنعة بعض الشيء !.. كان عدم التروي باديا من الجانبين : كان بورفير يضحك مستهزئا من زائره الذي اعتبر تلك الضحكة لونا من الحقد ومع ذلك فان بورفير لم يبد ارتباكا . كانت هذه المناسبة الأخيرة تستلفت انتباه راسكولنيكوف : فهم فجأه أن بورفير بيتروفيتش لم يكن أبدا منزعجا بل على العكس كان هو ، راسكولنيكوف ، الذي ترك نفسه يسقط في الشرك ! كان هناك ولا شك شيء لا يزال يجهله ، كان الأمر كله يسير حسب خطة مرسومة : لعل كل شيء كان معدا ولعل المفاجأة ستقع بعد قليل .

أراد أن يحسم الموضوع مباشرة فأخذ قبعته بيده وقال بصوت حازم يتخلله انفعال شديد :

ـ يا بورفير بيتروفيتش ، لقد أعربت البارحة عن رغبتك في رؤيتي لتخضعني لاستجواب معين ـ وضغط بصورة خاصة على كلمة استجواب ـ وها أنا جئت. فاذا كنت تريد استجوابي فاستجوبني والا فاسمح لي بالانسحاب . ليس عندي وقت أضيعه ـ انني مشغول ... ينبغي أن أحضر دفن ذلك الموظف الذي دهسته عربة أمس والذي ... سمعت عنه من قبل .

انزعج لأنه أضاف هذه العبارةفراح غضبه يتزايد ! أضاف بصوت مرتفع :

ـ لقد عيل صبري من كل هذا . اني أشعر منذ زمن بعيد بارهاق



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

مفرط بسببه ! وأعتقد أن مرضي ناجم عنه أكثر من أي سبب آخر !

تضاعف غضبه ازاء تلفظه بهذه الجملة الأخيرة المتعلقة بمرضه، وشعر أنها في غير موضعها فاسترسل :

ـ وبكلمة واحدة تفضل باستجوابي أو دعني أنسحب في الحال. لكنك اذا أردت أن تستجوبني فليكن ذلك ضمن الاصول المتبعة، والا فانني لن أسمح لك بغير ذلك . وبالانتظار أودعك طالما أننا لا نجد ما يدعو لوجودنا معا في الوقت الحاضر .

هتف بورفير بيتروفيتش ، وقد أبدل فجأة لهجته وتصرفاته وكف عن الضحك :

ـ رباه ! ماذا دهاك ؟ لكن لِمَ استجوبك ؟ لا تبتئس ، أرجوك .

وعاد يذرع الغرفة بادي الانشغال حينا ويتهافت على راسكولنيكوف ليجلسه حينا آخر :

ـ لدينا الوقت . لا شيء يدعونا الى العجلة ثم ان كل هذا دون الأهمية ! انني على العكس مسرور جدا اذ جئت أخيرا الينا ... انني أستقبلك كزائر . أما ضحكتي الملعونة فاعذرني يا رودیون رومانوفيتش الباسل . تلك هي أسماؤك ، أليس كذلك ؟ انني رجل عصبي وقد شغلتني دقة ملاحظتك . صحيح انني أحيانا أقفز ككرة المطاط خلال نصف ساعة كاملة ... انني ضحوك بطبعي ... ان مزاجي يجعلني أخشى أن أصاب بالشلل . لكن ... اجلس أرجوك أيها الباسل ، والا فسأعتقد بأنك منزعج .

كان راسكولنيكوف صامتا يسمع ويراقب وقد قطب الغضب حاجبيه ثم جلس ولكن دون أن يترك قبعته من يده .

استرسل بورفير بيتروفيتش الذي لبث في تجواله في الغرفة يحاول أن يستأثر بنظرة ضيقة :

ـ سأقول لك شيئا يا رودیون رومانوفيتش الشجاع ، يتعلق بي



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ويجعلك تفهم عقليتي . انني عازب ، وبالتالي لا أختلط بالأوساط الراقية الا نادرا لأنني مجهول منها . ثم انني رجل قضي عليه و.. و.. هل لاحظت يا رودبون رومانوفيتش أن عندنا ـ وأقصد في روسيا وبصورة خاصة في بطرسبورغ ـ عندما يلتقي شخصان ذكيان لم يتعرفا بعد على حقائق بعضهما تماما لكنهما يميلان الى بعضهما بعضا كما هو الحال بيني وبينك ، فانهما لا يجدان خلال نصف ساعة كلمة واحدة يتبادلانها ، بل يتبادلان النظر كالتماثيل ويشعر كلاهما بالارتباك . ان الناس يجدون موضوعات للكلام . خذ النساء مثلا ... الأشخاص في المجتمع .. انهم جميعا يجدون موضوعا يتحدثون فيه . بل يجب أن يجدوا موضوعا للحديث. أما رجال الطبقة الوسطى مثلنا فانهم يرتبكون وينطوون على أنفسهم صامتين ... انهم يفزعون ، فكيف يحدث ذلك أيها الباسل ؟ أليس لنا نحن مصالح اجتماعية ؟ أم هل نحن شديدو النزاهة حتى أننا نعزف عن خداع بعضنا بعضا : لست أدري . أما أنت، فما رأيك ، ذلك ؟ لكن دع قبعتك . ان من يراك يعتقد أنك تريد الذهاب على الفور ، وذلك يزعجني لأنني على العكس سعيد جدا ...

وضع راسكولنيكوف قبعته في صمت ملح وقد تقطب حاجباه وراح يصغي الى ثرثرة بورفير الملحاح . فكر : « مادا ؟ انه يهدف الى اشغال انتباهي بلطف بذلك السيل المتدفق من الحماقات » .

تابع بورفير :

ـ انني لن أقدم لك القهوة لأن المجال لا يسمح بها . لكن لِمَ لا تقضي خمس دقائق مع صديق لترفه عنه ؟ ثم ـ وأنت تعرف ـ كل هذه الضرورات المصلحية ... هيا لا تنزعج ، يا صديقي الباسل . اذا كنت تراني غاديا رائحا فاعذرني كذلك أيها الباسل . انني أتحاشى جدا أن أسبب لك أية صدمة ، لكنني في حاجة قصوى الى الحركة لأنني أجلس باستمرار ويسعدني جدا أن أتمشى خمس دقائق .. انني مصاب



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بالباسور ... وقد عنيت أبدا بأن أعالج نفسي بالرياضة ، اذ يبدو أن مستشاري دولة سابقين وكذلك مستشارين سريين لا ينقطعون عن القفز بالحبل بانتظام . ان العلم يفرض ذلك في هذه الأيام . أما واجباتنا هنا واستجواباتنا وكل هذه الرسميات ... انك ترى أيها الباسل أنك أنت الذي بدأت تتحدث عن الاستجوابات ... اذن فاعلم يا روديون رومانوفيتش الباسل أن تلك الاستجوابات تحير أحيانا القاضي أكثر مما تحير الموقوف كما أبدت ملاحظتك الدقيقة منذ حين ( مع العلم أن راسكولنيكوف لم يبد أية ملاحظة حول هذا الموضوع ) . ان الانسان لينفعل حقيقة ، انه ليرتبك ... ثم دائما المسألة بالذات كضربات الطبل المتناسقة . ومن هنا التهذيب الذي يحصل لنا أو بالأحرى الذي نحن مدعوون الى العمل به . ها ! ها ! ها ! أما فيما يتعلق بوسائلنا الحقوقية — وانني أستعمل اصطلاحك البارع — فانني من رأيك تماما . من هو ؟ قل لي ، ذلك الموقوف حتى ولو كان قروبا من أكثر الأشخاص جهالة ، الذي لا يعرف أننا سنبدأ بمحاولة اشغاله ( حسب تعبيرك البديع ) بطرح أسئلة غريبة عن الموضوع ثم بالانهيال عليه بالمسألة المطلوبة كضربة فأس على جمجمته ؟ ها ! ها ! ها ! تماما على جمجمته حسب تشبيهك البديع . ها ! ها ! ها !. على ذلك فانك فكرت بأنني اذ حدثتك عن المسكن أردت ... ها ! ها ! ها ! ان روح التهكم لا تنقصك . لكن لعمري لن أعمل شيئا من هذا ! آه ! نعم ! على فكرة ان كلمة تذكر بأخرى وفكرة تستدعي فكرة ثانية : منذ حين تفضلت بالحديث حول الاصول فيما يتعلق بالاستجواب كما لعلك تذكر ... لكن ما هي الأصول ! ليس للاصول في حالات كثيرة أي معنى . في بعض الحالات يجدر التذرع بمحادثات ودية تماما . ان الاصول لا تختفي أبدا — واسمح لي أن أطمئنك حول هذا الموضوع ! لكن ما هي الأصول في الحقيقة ؟ انني أسألك رأيك . ان قاضي التحقيق لا ينبغي أن يجد



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

نفسه في كل خطوة موثوقا بالأصول المرعية . ان مهنة هذا القانوني تشبه الفن الحر أو شيئا من هذا القبيل ... ها ! ها ! ها ! ها !

التقط بورفير بيتروفيتش أنفاسه وصمت دقيقة . كان يتحدث بلا انقطاع فيلقي أحيانا جملا محرومة من المعنى تماما وأحيانا يسقط كلمات صغيرة غامضة ويعود بعدها الى لون من البله . كان في تلك اللحظة يجري في الغرفة بدلا من المشي ، وكان يحرك ساقيه الغليظتين أكثر فأكثر تاركا يده اليمنى مخبأة وراء ظهره بينما كان يستعمل اليسرى في حركات مسنمرة مختلفة تتنافض كل التناقض مع مدلول أقواله ولونها . لاحظ راسكولنيكوف فجأة أنه خلال جريه في الغرفة توقف مرتين أو ثلاث مرات قرب الباب وكأنه ينصت برهة ... تساءل : « هل ينتظر أحدا ؟ »

تابع بورفير بوداعة ، وهو ينظر الى راسكولنيكوف بشكل مفرط بطيبة القلب جعل هذا الاخير يرتعد فورا ويستعد لكل شيء :

ــ الحقيقة أنك على صواب تماما . لك الحق في أن تتهكم بهذه البداهة الجميلة من الاصول القضائية ... ها : ها ! ان تلك الأصول ــ بعضا ولا شك ــ التي تبدو ذات قيمة نفسانية عميقة مضحكة جدا ولتقل كذلك عديمة النفع لسبب واحد ، وهو أنهم يمارسونها بنصها الحرفي . لكن ــ لكي ننتهي من البحث في الأصول ــ لنفرض أنني مكلف بالتحقيق في قضية وأنني أعرف ــ أو بالأحرى أعتقد أنني أعرف ــ أن المجرم هو هذا أو ذاك ... هل درست القانون ، يا روديون رومانوفيتش ؟

ــ نعم لقد درست الحقوق .

ــ حسنا اليك مثالا صغيرا قد يكون ذا فائدة لك في المستقبل ، أقصد لا تظن أنني أسمح لنفسي بالوقوف منك موقف المعلم خصوصا بالنسبة اليك وأنت الذي تكتب بحوثا عن الاجرام ! كلا ! انني أقصد



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فقط مجرد تقديم مثال . على ذلك أقول انني أميل مثلا الى الاعتقاد بأن هذا أو ذاك أو ثالثا مجرم ، فما الفائدة اذن ــ وانني لأسألك ــ في أن أضايقه قبل الأوان رغم الأدلة التي تكون في يدي ضده ؟ هناك مثلا من أراني مضطرا الى توقيفه وآخر ذو عقلية مختلفة ، فلمَ لا أدعه يتجول في المدينة ؟ هم ؟ هيا حسنا ! أرى أنك لا تفهمني تماما . لسوف أعرض لك رأيي بشكل أوضح ! هب مثلا أنني أوقفته قبل الوقت المناسب فانني بتوقيفه أهيىء له لونا من المساعدة الفكرية اذا أردت أن تسميها كذلك ... ها ! ها ! ها ! ان ذلك يضحكك ، أليس كذلك ؟ ( لم يكن راسكولنيكوف اطلاقا يميل الى الضحك . لقد كان جالسا يصرف على أسنانه ويحدق بنظرات ملتهبة في عيني بورفير بيتروفيتش ) مع دلك فان الأمر هو كما شرحته لك ! انما يصح ذلك مع بعض الأشخاص فقط لأن الناس يختلفون كثيرا ولأن المسألة ليست الا مسألة خبرة ومران ، والآن سوف تقول لي : والأدلة ؟ فأقول : لنفترض أن الأدلة موجودة ، ولكن ألا ترى يا عزيزي بأن الأدلة تكون غالبا ذات وجهين ؟ وأنا نفسي ، قاضي التحقيق ، أقصد انني رجل ضعيف ، لذلك أوافق على أن العادة جرت على أن يقدم القاضي نتائج تحقيقه بدقة رياضية ، اذا صح التعبير ، وأنه يتوق الى ايجاد دليل يعادل اثنين واثنين تساوي أربعة ! أي أن يكون دليلا مباشرا لا يقبل النقض ! لكن اذا أوقفت الشخص قبل الأوان ــ حتى ولو كنت واثقا أنه « هو » ــ فانني أحرم نفسي من الوسائل التي تجعله يفضح نفسه بصراحة أكثر ! وكيف ذلك ؟ لأنني قدمت له ــ اذا صح التعبير ــ مركزا محدودا ، أو بعبارة أخرى أنني أثبته وطمأنته من الوجهة البسيكولوجية ، وبذلك يتسرب من بين يدي ويدخل في قوقعته : انه سيفهم أخيرا أنه أوقف . يقال انه في سيباستوبول بعد قضية « آلما » ، راح أهل الفكر يرتاعون من العدو خشية أن يهاجمهم فورا ويأخذ منهم سيباستوبول ، لكنهم



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عندما رأوا أن العدو يفضل ضرب حصار منظم وأنه مد خطه المتوازي الاول هللوا فرحين يطمئنون أنفسهم بقولهم : سوف يطول الأمر شهرين على الأقل حتى نستسلم بفعل الحصار ! آه ! أتضحك أيضا ؟ ما زلت لا تصدقني ؟ لعمري انك على حق من جانبك . انك على حق ! حق ! لا شك أن هناك حالات خاصة . انني من رأيك تماما . ان ما نراه الآن هو في الحقيقة حالة خاصة . لكن ألا ترى يا روديون رومانوفيتش الباسل أن الحالة التي تنطبق عليها الاصول القضائية المرعية وكل القوانين التي صدرت عنها تلك الاصول وسجلت في السجلات ، ان مثل تلك الحالة الدقيقة تماما غير موجودة أصلا لسبب بسيط وهو أنها حالما تقع في الحقيقة ، وليس بالافتراض ، فانها تتحول فورا الى حالة خاصة حتى أنها أحيانا تصبح حالة مختلفة كل الاختلاف عن كل ما سبقها من الحالات . ان المرء ليصادف حالات مضحكة من هذا الطراز . انني في هذه الحالة أترك الرجل طليقا لا أوقفه ولا أزعجه ، لكنني أجعله يعرف أو على الاقل يخمن بأنني أعرف كل شيء ، وأنني أراقبه كل ساعة دون أن أغمض عيني ، فيصبح بذلك فريسة للشك والرعب الدائمين، وعندئذ — وأقسم لك — سوف يفقد أعصابه حتما . ولسوف يأتي بنفسه أو لعله يسمح لنفسه بارتكاب أمر يعادل اثنين واثنين تساوي أربعة، وأقصد أمرا ايجابيا رياضيا وذلك أجمل ما في الموضوع . يمكن أن يحدث ذلك مع بدوي أو فلاح ، بل وكذلك مع الرجال الأذكياء الشجعان والمتمدنين حتى ومع مثقفين في هذا الموضوع . ولقد لمس ذلك ! على هذا ، يا صديقي العزيز ، فان معرفة اتجاه الشخص قضية صغيرة قائمة بذاتها . ثم هناك الأعصاب ، الأعصاب التي يبدو أنك نسيتها ! ألا ترى أنها اليوم النقطة الضعيفة المريضة الحساسة ؟.. وكذلك الغضب . واذن ؟ ان غضبا كثيرا يفترس صدور هذا النوع . وأؤكد لك بهذه المناسبة أنه غالبا ما يقضي عليهم ! وعلى هذا فماذا يعنيني اذا لبث طليقا



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فترة ؟ بلى ليستمر في التنزه بانتظار الوقت المناسب ، بينما أنا أعرف بأنه « فريستي الصغيرة » وأنه لن يفلت من يدي ! ثم أين يفر ؟ أللخارج ؟ نعم ؟ ان البوليس يستطيع الفرار الى الخارج ولكن ليس « هو »، ثم انني أراقبه دائما وقد اتخذت كل احتياطاتي • فهل سيفر الى أعماق البلاد ؟ لكن لا يعيش هناك الا الفلاحون ، الروسيون الصميمون : وعلى ذلك فان رجلنا المثقف ثقافة عصرية ليفضل السجن على الحياة مع أجانب كفلاحينا •• ها ! ها ! ها ! لكن كل هذا ليس الا تفاهات بجانب السؤال الحقيقي ؟ ما معنى كلمة الفرار ؟ انها شكلية بحتة • والأساس المهم غيرها ! انه لن يبتعد عني لا لأنه لا يعرف أين يفر ، بل لأسباب بسيكولوجية أيضا ••• ها ! ها ! يا للتعبير الجميل ! انه لن يفر استنادا الى قوانين الطبيعة حتى ولو عرف الى أين يذهب • ألم ترَ مرة فراشة قرب مصباح ؟ حسنا • انه سوف يدور باستمرار حولي أنا وكأنه يدور حول مصباح • لسوف يشعر بثقل حريته • ولسوف يفكر ويسخط وأخيرا يأتي من تلقاء نفسه ليدخل في شبكتي لأنه يخيف نفسه بأفكاره خوفا مميتا !•• ثم هناك شيء آخر : سوف يحضر بنفسه مزحة جميلة من نوع اثنين واثنين تساوي أربعة ، ويكفي من أجل ذلك أن أقدم له بدوري استراحة قصيرة • سوف لا ينفك يحوم ويحط حولي وهو يضيق الحلقة أكثر فأكثر و ••• هوب ••• سيقع أخيرا في فمي ولسوف أبتلعه ، الأمر الذي يسبب لي لونا من السرور اللذيذ ! ها ! ها ! ها ! ألا تصدق ؟

لم يجب راسكولنيكوف : كان شاحبا جامدا وعيناه محدقتان في وجه بورفير •

راح يحدث نفسه وقد بعث الخوف في نفسه قشعريرة باردة : « درس ممتاز ! ان القط لا يلعب اليوم مع الفأر كما كان يلعب



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

البارحة . انه يتحاشى اليوم أن يظهر لي قوته دون جـدوى وأن... يوحي الي ! انه ماكر جدا اليوم ... انه يتابع هدفا معينا . لكن أي هدف ؟ هيا يا صديقي ان هذا حمق . أتريد أن تخيفني ؟ أين خدعك ؟ انك لا تمتلك أي دليل ! ان رجل الأمس لا وجود لـه ! انك تحاول فقط أن تثير غضبي . انك تحاول اثارتي سلفا كي تستطيع تعليقي الى الكلاب عندما أكون في حالة الهيجان . لكنك تخطىء خطـأ كبيرا . لقد نفذت حيلتك ! لكن لماذا يهمس لي بكل هذه الاشياء ؟ هل سيعتمد على أعصابي ؟ كلا يا صديقي انك تضع أصبعك في عينك رغم كل ما هيأت ، ولسوف نرى الآن ماذا هيأت ! »

تذرع بكل قواه استعدادا لاستقبال مصيبة هائلة مجهولة . كان أحيانا يشعر برغبة في خنق بورفير على الفور . لقد كان يوجس خيفة من سورة غضبه منذ أن دخل . شعر بشفتيه تجفان وقلبه يخفق خفقات عنيفة والزبد يحيط بفمه . لكنه رغم ذلك قرر أن يصمت وألا يتفـوه بكلمة واحدة قبل الوقت المناسب . كان يعرف أن ذلك التصرف هو خير أسلوب يلجأ اليه في موقفه ، ليس فقـط لأنه لـن يفضح نفسه بالحديث ، بل كذلك لأنه سيغضب خصمه بسكوته وسينجم عن ذلك أن يفضح الآخر نفسه . ذلك ما قدره .

تابع بورفير كلامه ، وهو يمعن في المزاح ولا يني يقهقه من السرور ويتمشى في الغرفة :

ـ كلا ! كلا ! انني أرى أنك لا تصدقني . انك تفكر بـأنني أسمعتك تفاهات باردة . لقد حباني الله بأسلوب في الحـديث يوحي الى الآخرين عني بأفكار ماجنة مضحكة ! لكن يجـب أن أقول لك ـ وأكرر لك مرة أخرى يا روديون رومانوفيتش البـاسل ـ أن تعـذر العجوز الذي يتكلم لأنك شاب في زهرة العمر كما يقال . ولهذا فانك



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تضع الذكاء البشري فوق كل شيء على غرار الشباب كلهم • ثم ان الدعاية الفكرية الحادة والاستنتاجات العقلية السلبية تدهشك • وهذا يتماشى على سبيل المثال نقطة فنقطة مع العقلية الحربية النمساوية القديمة ، اذا جاز لي الحكم على القضايا العسكرية : كانوا على الورق يعتقدون أنهم سيسحقون نابليون وأنهم سيسجنونه ، فراحوا في مكاتبهم يعدون ويتابعون خططهم وبحوثهم بكل نشاط وجد • ثم ــ لاحظ هذا ــ استسلم « جنرالهم » مع كل جيشه • هي! هي! هي! انني أرى ، يا روديون رومانوفيتش ••• انني أرى أنك تهزأ بي لأنني، وأنا ذلك المدني ، أسوق تشبيهاتي الصغيرة من التاريخ العسكري • لكن ما العمل ؟ تلك هي نقطة الضعف عندي • انني ضعيف ازاء القضايا الحربية ••• والمنورات التي تبحث في الجيوش ••• لا شك أنني أخطأت في عدم اتباعي ميولي • كان ينبغي أن أدخل في عداد الجيوش • ثق بما أقول • يجوز أنني ما كنت سأصبح نابليونا ، لكنني كنت أستطيع بلوغ رتبه ضابط كبير ! هي ! هي ! لعمري طالما أنا في سبيل التحدث اليك بالحقيقة بخصوص تلك « الحالة الخاصة » فان الواقع والطبيعة يا سيدي الباسل أشياء مهمة • يحدث غالبا أنها تحور كل الخطط الحاذقة ! هيا ! صدّق عجوزا • انني أقول لك ذلك جديا ، يا روديون رومانوفيتش ( كان بورفير بيتروفيتش هذا يتحدث على هذا المنوال وهو في الثلاثين من عمره ، ولم تكن تبدو عليه مطلقا هيئة الكهولة • بيد أنه أبدل صوته قليلا وبدا كأنه منحنيا) هيا ، انني رجل ضريح ، هل أنا رجل ضريح ؟ نعم أم لا ؟! ما رأيك في ؟ أعتقد أن ذلك واضح تماما : انني أقدم لك كل هذه المعلومات لقا لا شيء ، بل دون أن أطالب بأية مكافأة ها ! ها ! هيا سأتابع : ان الفكر ــ بحسب رأيي ــ هو صفة لامعة • انه ــ ويمكن القول ــ تجميل حبتنا به الطبيعة وتعزية منحتنا اياها الحياة • وهو قادر على كل



CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

المخاتلات والشعوذات لدرجة يتساءل المرء بعدها كيف يستطيع قاضي التحقيق المسكين أن يعرف الحقيقة بينها ! وهنا التعاسة ! نعم هنا الشيء الذي لا تفكر فيه شبيبتنا المعتمدة على الفكر ــ وهي تمشي خلال عقبات كثيرة ــ ( كما قلته بنفسك بشكل دقيق جدا يدل على شدة الذكاء ) . لنفرض أنه تذرع بالكذب ( والبحث هنا يدور حول شخص ما وحول حالة خاصة مجهولة ) ، وأنه كذب بشكل عجيب مدهش ، فانه يظن بعدئذ أنه سينتصر وأنه سيتلذذ أخيرا بقطف ثمار عبقريته ! لكنه فجأة ، باف ! ها هو ذا يغمى عليه في أشد الأمكنة حراجة والتي تعطي امكانيات أكثر لظهور الحقيقة. ليكن . انني أفضل أن يكون مريضا أيضا اذ يحدث أحيانا أن يضيق المرء في غرفة فيشعر بالاختناق . لكن رغم ذلك ! رغم ذلك فانه يعطي باغمائه دليلا ! لقد ألقى الرماد في العيون وبشكل لا يبارى ، لكنه لم يحسب حساب الطبيعة . وهنا ، هنا فقط السر ! ثم راح مرة أخرى يهزأ ــ مدفوعا بحميته العقلية ــ بالرجل الذي يشك فيه، فشحب وكأنه واضعا خطته، بل وكأنه كان يتسلى ، شحب بشكل طبيعي تقريبا وكأن الأمر حقيقة تماما . لكنه للمرة الثانية قدم دليلا آخر ! ، لقد خدع للمرة الاولى،انه ليستطيع دائما أن يخدع ، لكنه عند المساء يعود للتساؤل : « ألم أرتكب هفوات صغيرة خلال النهار ؟ » . وسيلبث كذلك في كل خطوة يخطوها ! ماذا أقول أيضا ؟ انه هو نفسه يقف في المقدمة : فهو يحشر أنفه في كل ما لا يعنيه ، ويثرثر دون توقف لما تقضي مصلحته بالسكوت ، ثم يندفع في الافتراضات ... هبه هيه ! ويأتي من تلقاء نفسه ويسأل عن السبب الذي من أجله لم يوقف بعد ! هيه هيه هيه ! ان أشياء من هذا القبيل يمكن أن تحدث لأكثر الناس مكرا ، وللعالم النفساني ، وللاديب ! ان الطبيعة مرآة وهي من أكثر أنواع المرايا نقاء ! ولا يلزم الا أن ينظر المرء اليها ويتأملها ! لكن لم أنت شاحب الى



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هذا الحد ، يا روديون رومانوفيتش ؟ هل الهواء خانق ؟ أتريد أن أفتح النوافذ ؟

صاح راسكولنيكوف :

ـ أوه ! لا تزعج نفسك أرجوك • أرجوك ألا تزعج نفسك •

ثم انفجر ضاحكا • اقترب بورفير منه وانتظر قليلا ولم يلبث حتى انفجر هو الآخر ضاحكا • أما راسكولنيكوف فقد نهض عن الأريكة وقطع ضحكته العصبية فجأة وقال بصوت مرتفع واضح :

ـ يا بورفير بيتروفيتش ! أرى في النهاية بوضوح أنك تشك جديا في أن أكون أنا قاتل تلك العجوز وأختها اليزابيت • وانني أصرح لك بأن هذه الشكوك تزعجني منذ زمن طويل • فاذا كنت تجد أن من حقك متابعتي قانونيا فلتفعل • أو توقيفي فلتوقفني • لكنني لن أسمح أبدا أن يسخر مني وأن أتعرض لهذا التعذيب •

كانت ساقاه لا تقويان على حمله الا بالكاد • وقد راحت شفتاه ترتعدان وعيناه تومضان بالغضب وصوته الذي سعى حتى تلك اللحظة أن يجعله هادئا يجلجل قويا •

هتف بكل قواه ، وهو يضرب المنضدة بجمع قبضته :

ـ لن أتقبل ذلك • هل تسمع ، يا بورفير بيتروفيتش ؟ لن أتقبل ذلك !

قال بورفير بيتروفيتش ، وهو يطلق صيحات صغيرة شأنه شأن من استبد به الخوف :

ـ آه ! رباه ! ماذا حدث أيضا ؟ يا روديون رومانوفيتش ! يا صديقي ، يا صديقي العزيز ، ماذا دهاك ؟

صرخ راسكولنيكوف مرة أخرى :

ـ لن أتقبل ذلك •



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

همس بورفير مروعا، وقد غدا وجهه شاحبا كوجه راسكولنيكوف:

ـ هيا ! اخفض صوتك ! لعلهم يسمعون فيحضرون. فماذا نقول لهم عندئذ ؟ فكر في هذا !

كرر راسكولنيكوف بهمس هذه المرة :

ـ لن أتقبل ذلك ، لن أتقبل ذلك !

هرع بورفير فجأه الى النافذة ففتحها .

ـ قليل من الهواء المنعش ؟! يحسن بك يا عزيزي أن تشرب قليلا من الماء . انها نوبة !

هم أن يندفع الى الباب ليطلب ماء غير أنه لمح في تلك اللحظة زجاجة ملأى بالماء موضوعة في احدى الزوايا ، فهرع اليها وعاد بها اليه وهمس :

ـ اشرب قليلا ، ياصديقي العزيز . لسوف يفيدك هذا .

كان رعب بورفير وتوددة خاليين تقريبا من التصنع حتى أن راسكولنيكوف لبث فاغرا فاه يتأمله بفضول وحشي . وغني عن الذكر أنه رفض أن يشرب الماء .

ـ يا روديون رومانوفيتش ! أيها الطيب ! لسوف تفقد صوابك اذا لبثت هكذا . أؤكد لك . خذ . اشرب ، اشرب ولو جرعة واحدة !

استطاع أخيرا أن يجعله يأخذ القدح بيده وأن يرفعها بحركة آلية الى شفتيه ، لكنه تمالك نفسه فجأة فأعاد القدح باشمئزاز ووضعه على المائدة .

نق بورفير باهتمام ودي ، وقد بدا الاضطراب عليه :

ـ نعم ! انها نوبة صغيرة تلك التي اعترتك الآن ! ها انك يا عزيزي تعود للسقوط في مرضك القديم . رباه ! هل يعقل أن يهمل المرء صحته بهذا الشكل ؟! اسمع. لقد جاء دميتري بروكوفيتش مساء



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أمس الى منزلي . انني أعترف ، لا شك أن نعم ، بأن لي عقلية رديئة قذرة . لكن أترى ما هو المغزى الذي استنتج بسبب ذلك !... نعم، لقد جاء البارحة مساء ، بعد ذهابكما ، وكنا نتناول طعام العشاء ، فتحدث وتحدث دون أن أستطيع الافصاح عن رأي واحد ... لكنني أفكر في الموضوع : ألا يكون قد جاء من قبلك ؟ هيا اجلس ، يا عزيزي ! ناشدتك الله !

أجاب راسكولنيكوف بجفاء :

ـ كلا ! لم يأتِ من قبلي . لكنني كنت أعرف أنه سيأتيك. وكنت أعرف كذلك لماذا !

ـ كنت تعرفه ؟

ـ كنت أعرفه ! ثم ماذا !

ـ هيا يا عزيزي روديون رومانوفيتش ! أتظن بأنني لا أعرف كل مآثرك ؟ انني أعرفها كلها ! انني أعرف أنك ذهبت عند هبوط الظلام لتستأجر « ذلك المسكن » ، وانك جذبت حبل الجرس وانك سألت عما حل بالدم ، الأمر الذي أقلق الخدم والعمال حينذاك . انني أفهم حالتك الروحية تماما . هيا ، لسوف تفقد عقلك وأقسم لك . لسوف تشعر بالدوار ! ان التخيل عنيف في نفسك رغم نبل عواطفك وذلك بسبب الامتهان الذي نالك من الحياه أولا ومن رجال البوليس ثانيا . هذا هو السبب في أنك تبحث هنا وهناك لتصغي الى كل ما يقال ـ اذا جاز هذا التعبير ـ ولترغم الأشخاص على الانتهاء دفعة واحدة ، لأنك سئمت تماما من تلك الحماقات وتلك الرتب . أليس كذلك ؟ ألم أضمن حالتك النفسيه تماما ؟... غير أنك تفقد السيطرة على أعصابك وتسبب لرازوميخين فقدانها بارساله الي لأنه سليم الطوية جدا ، وأنت لا تجهل هذا . فاذا كنت مريضا فهو طيب النفس ، وسينتهي الأمر بأن



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ينتقل مرضك اليه ... لسوف أشرح لك ذلك عندما تهدأ ... هيا اجلس بحق السماء ! أرجوك اهدأ . انك شديد الاضطراب . أجلس.

جلس راسكولنيكوف واكتسحت جسده قشعريرة وعادت الحمى تداهم جسمه . راح يصغي باهتمام الى أقوال بورفير بيتروفيتش وهو في ذهول عميق ودهشة بالغة للشعور الودي الذي أخذ هذا الأخير يبديه نحوه . غير أنه ما كان يصدق كلمة واحدة ، رغم أنه ما كان يشعر بميل الى التصديق . كانت كلمات بورفير غير المنتظرة حول موضوع المسكن قد أذهلته . راح يتساءل في سره : « كيف ذلك ؟ اذن فهو يعرف أنني ذهبت الى ذلك المسكن ؟ طبعا انه يعرفه طالما أنه حدثني به منذ قليل ؟ » .

استرسل بورفير قائلا بسرعة :

ـ نعم . لقد وقع حادث مماثل خلال مراننا القانوني ، حادث نفساني مرضي كهذا تماما : اتهم بعضهم بجريمة قتل . فراح يصف سوء حالة وهمية ويمثل الاوضاع ويروي الظروف فيفسر البعض ويعقد البعض الآخر . ثم ماذا كان السبب أخيرا ؟ لقد كان هو نفسه ـ دون أن يتعمد ـ سببا جزئيا للجريمة ، جزءاً بسيطا فقط ! فلما بلغه بأنه كان السبب للقتل رُوع تماما وراح يرتكب حماقات ويتصور أشياء ، فيهذي ويشوه الحقائق ، حتى انتهى به الأمر الى اعتبار نفسه قاتلا . وقد اهتمت محكمة الاستئناف بهذه القضية وهناك برىء التعس ووضع في مأوى شعبي ! والفضل في ذلك لمحكمة الاستئناف ! لكن ان ... ان ... هيا أيها الصديق ، ان الانسان ليصاب بالحمى الساخنة اذا كانت الأعصاب مبالة للانفعال بهذا الشكل . واذا كان الانسان يذهب ليلا ليجذب حبال الأجراس بل حتى اذا راح يسأل عما جرى للدم ! ان كل هذه الحالة النفسانية تعلمتها بالمران . يحدث



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أحيانا أن يشعر امرؤ بالرغبة في القفز من نافذة أو من برج من أبراج الأجراس • ويكون ذلك الشعور قويا عنيفا••• كذلك هو قرع الجرس ••• مرض ••• مرض ، يا روديون رومانوفيتش • انك رحت تهمل حالتك المرضية كثيرا • كان عليك أن تستشير أطباء اختصاصيين بدلا من رجلك الضخم ذاك ! انك تهذي ! وكل هذا عندك نتيجة للهذيان !

خلال لحظة شعر راسكولنيكوف أن كل شيء يدور حوله• راح يتساءل :

ــ ماذا ؟ هل سيكذب الآن أيضا ؟ كلا • ان هذا مستحيل ! ان هذا مستحيل !

كان هذا السؤال والجواب قد خامرا عقله دفعة واحدة ، فشعر ملفا بمدى ما سيحل به بتأثير الغضب والانفعال • شعر أن الغضب سوف يفقده الصواب•

هتف مستجمعا كل قواه العقلية ليستطيع اكتشاف لعبة بورفير وغرضه :

ــ ما كنت أهذي أبدا • لقد كنت في كامل قواي العقلية، بكامل الاشراق والصحو • هل تسمع ؟

ــ آه • نعم ! انني أفهم وأسمع ! لقد قلت البارحة أيضا بأنك لا تهذي ، بل لقد ألححت على هذه النقطة ! ان كل ما يمكنك أن تقوله أستطيع أن أفهمه • هيه ! هيه ! لكن أصغ الي قليلا ، أيها الباسل ! يا روديون رومانوفيتش الطيب ! لنفرض جدلا صحة ذلك ••• لو أنك كنت حقيقة مرتكبا هذه الجريمة أو كان لك أي اتصال من أي نوع كان بتلك المسألة الملعونة ، قل لي : هل كنت تلح وتصر بنفسك بأن ذلك لم يكن تحت وطأة دافع جنوني ، بل انه على العكس كان بكل صفاء واشراق عقل ! نعم • بالحاح وبالحاح خاص • قل لي هل يمكن



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أن يكون ذلك ؟ في رأيي أن الأمر على العكس . فلو كنت ـ جدلا ـ مجرما ، ألم يكن من الأجدى الالحاح دائما على أنك فاقدا عقلك تماما ؟ أليس ذلك صحيحا ؟

كانت هذه الجريمة تخفي في طياتها لونا من المكر ...

تراجع راسكولنيكوف بظهره حتى استقر على مسند الأريكة وراح ينظر بسكون وصمت الى بورفير الذي انحنى فوقه ، وراح ينظر اليه بدوره نظرة ثابتة :

ـ الآن: لنعد الى مسألة السيد زازوميخين، أو بالأحرى لنتساءل عما اذا كان قد جاء الىمسكني من تلقاء نفسه أو تبعا لتعليماتك . انك تقول بأن مجيئه كان من تلقاء نفسه ! ان تصرفك الطبيعي يوحي اليك أن تخفي عني مجيئه الي طبقا لتعليماتك ! هذا هو المنطق ، وعليه : أما كنت لتخفي ذلك ؟ انك تؤكد بأنه جاء طبقا لتعليماتك .

لم يكن راسكولنيكوف قط قد أكد مثل هذا القول ، لذلك شعر ببرودة في ظهره وغمغم بصوت ضعيف بطيء بينما ارتسمت على شفتيه ابتسامة مريرة :

ـ انك لا تنفك تكذب .

شعر كأنه يجد صعوبة في ربط الأفكار والكلمات التي يريد التعبير عنها فأضاف :

ـ انك تريد أن تبين لي بأنك تعرف دخيلتي وأنك تعرف سلفا أجوبتي ! انك تحاول ترويعي ... وبكل صراحة وبساطة : انك تسخر مني ...

استمر وهو ينطق بهذه الكلمات يحدج بورفير بثبات ، وفجأة التمعت عيناه ببريق كراهية لا حدود لها وصاح :

ـ انك تكذب ! انك تعرف شخصيا أن خير ذريعة يمكن لمجرم



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أن يلجأ اليها هي أن يحاول التحدث ما استطاع بالحقيقة ... أن لا يخفي شيئا على قدر المستطاع من الأشياء التي لا يستطيع اخفاءها . لذلك فانني لا أصدقك .

تضاحك بورفير :

ـ يا لك من شخص غريب ! لا يعرف المرء من أية ناحية يأخذ بك : انك مريض بجنون «الموتومانيا» (١) ! على ذلك اذن فانك لا تصدقني ؟ حسنا . أما أنا فأقول لك بأنك تصدقني، بل وانك صدقتني حتى الآن في ربع ما قلت، ولسوف أعمل لأجعلك تصدقني تماما لأنني في الحقيقة أحبك وأريد ضمان مصلحتك بكل اخلاص .

ارتعدت شفتا راسكولنيكوف ، بينما استرسل بورفير :

ـ نعم ، أريد ذلك . انني أقوله لك ( وضغط ضغطا خفيفا وديا على ذراع راسكولنيكوف فوق المرفق ) أقول لك مرة أخيرة : راقب مرضك . ان من أجل هذا جاءت أسرتك وينبغي أن تفكر فيها . يجب أن تطمئن أقرباءك وأن تظهر لهم الود والحب بينما أنت لا تني تروعهم .

ـ وهل يعنيك هذا ؟ ماذا تعرف عن هذا الموضوع ؟ كيف تهتم بأمرهم الى هذا الحد ، ومن أين جاءك هذا الاهتمام ؟

ـ لكن يا صديقي لقد علمت ذلك منك . منك بالذات علمت ذلك كله ! ألا تلاحظ أنك بانفعالك تفضح سلفا كل ما في نفسك لي كما للآخرين ؟ لقد اطلعت على ذلك مساء البارحة بواسطة السيد دميتري بروكوفيتش رازوميخين ، كما اطلعت على تفاصيل أخرى مهمة ... لكن لا . لقد قاطعتني . كنت أقول لك انك بحذرك ـ مهما

---

(١) نوع من الخبل العقلي تبدو فيه فكرة واحدة مسيطرة على كل القوى العقلية . ـ المترجم ـ



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان نشاطك الذهني ــ لا تني تفسر الأمور بشكل غير صحيح • خذ على سبيل المثال مسألة الجرس : ان هذه العملية على جانب كبير من الأهمية • حسنا لقد عملت ما في وسعي وأنا قاضي التحقيق لأنبئك بهذا الخبر ! هلا يعني هذا لديك شيئا ؟ لكنني لو كنت أرتاب بك أدنى ريبة ، هل كان يجب أن أتصرف على هذا الشكل ؟ كان يجب علي على العكس أن أموه منذ البداية أية فكرة حول هذا الموضوع ، وأن أجعلك تعتقد بأنني أجهل كل شيء ثم أدفعك في اتجاه مختلف كل الاختلاف عن هذا • وفجأة انقض عليك بهذا الخبر بما يشبه ضربة المهدّة ( وأستعيد تعبيرك الشخصي ) • لكن قل لي يا سيدي ــ اذا شئت : ماذا ذهبت تعمل في مسكن القتيل في الساعة العاشرة مساء ، بل وما بعد الحادية عشرة ؟ ثم قل لي لماذا جذبت حبل الجرس ؟ ثم ما سبب سؤالك عن الدم ؟ ولماذا ، أخيرا ، أردت أن تخدع الحارسين لترغمهما على سوقك الى قسم البوليس ؟ كذلك ينبغي أن أتصرف لو كان في نفسي ظل من الشك بصددك • كان ينبغي أن ألجأ الى كل الاصول المتبعة لأنتزع منك اقرارا وأفتش مسكنك بل وأوقفك ••• ومن هذا يتضح أنني لا أرتاب بك طالما أنني بدأت معك بشكل آخر! آه ان على عينك غشاوة ، انك لا ترى شيئا • أكرر القول !

انتفض راسكولنيكوف انتفاضة عنيفة بلغت من القوة أن لاحظها بورفير بيتروفيتش : وصرخ :

ــ انك تكذب • لست أدري ما هي نواياك ولكنك تكذب ••• انك لم تتحدث منذ حين بهذه الروح وهذا المعنى ، لا يمكن أن أخدع نفسي ••• انك تكذب ؟•••

قال بورفير ، وقد بدا يحتدم غيظه لكن دون أن يبدو عليه تبدل يذكر :



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ ... أكذب !...

بدا وكأن الرأي الذي اتخذه راسكولنيكوف وأصر عليه لم يؤثر في نفسه مطلقا ، بل لبث مرحا ساخرا :

ـ أكذب ؟... ولكن كيف تصرفت معك منذ قليل ، أنا قاضي التحقيق ، حينما أفهمتك بنفسي وأعطيتك كل وسائل الدفاع وجسمت في نفسك كل هذه النفسية : المرض . لا أكثر ولا أقل . والهذيان ، والرزوح تحت وطأة الامتهان والتطير ورجال البوليس . هم ؟! لكنني أبادر الى القول بأن كل وسائل الدفاع هذه والحجج والمبررات قوية ولها وجهتان « المرض ، الهذيان ، الأحلام ، الوهم ، لست أذكر » . كل هذا جيد وحسن . ولكن لمَ يا عزيزي يشعر المرء بهذا النوع من الأحلام الوهمية في حالات المرض والهذيان وليس في حالات أخرى ؟ ألا يمكن أن يشعر بهما في غير هذا الحالة ؟ ها ... ها ... ها ...

كان راسكولنيكوف يتأمله باعتداد واشمئزاز . صرخ بصوت حازم وهو ينهض دافعا بورفير بلطف جانبا :

ـ موجز القول ، أريد أن أعرف : هل تقر بأنني نهائيا فوق الشبهات أم لا ؟ قل يا بورفير بيتروفيتش ! تكلم بوضوح ولننتهِ من هذا الموضوع فورا اذا أردت .

هتف بورفير بلهجة وديعة هازئة خالية من الارتباك :

ـ لا شك . انه ليس أمرا سهلا أن يكون للمرء علاقة بك ! ثم لماذا تريد وتصر على معرفة ذلك ؟ لماذا تريد وتصر على معرفة كل هذه الأشياء طالما أننا لم نبدأ بمضايقتك حتى الآن؟ انك تشبه الطفل: «أريد أن ألعب بالنار ! » لم تقلق نفسك بهذا ؟ هل تستطيع أن تعلمني بما يدفعك لطرح هذا السؤال علي ؟ هيه ، هيه ، هيه !

هتف راسكولنيكوف ، وقد انفجر غاضبا :



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ أكرر ما قلت من أنني لا أستطيع تقبل أكثر من ذلك .

قاطعه بورفير :

ـ ما هو ذلك الـ « ذلك » ، أهو الشك ؟

ضرب راسكولنيكوف المنضدة بقبضة يده بشدة ، وصاح :

ـ كفى ! لا أريد ! قلت لا أريد ! انني لا أستطيعه ولا أريده ! هل تسمع ! هل تسمع !

قال بورفير بصوت خافت أقرب الى الهمس :

ـ أخفض صوتك ، أخفض صوتك ! لسوف يسمعونك ! انني أخطرك جديا بأن تنتبه الى نفسك . أنا لا أمزح !

لكن وجهه لم يكن يحمل الطابع الذي ارتسم عليه منذ حين ، والذي كان يعطيه مظهر السيدة المروعة، بل كان يعبر عن «الأمر» بلهجة قاسية وهو يقطب حاجبيه ويبدو كأنه فجأة قد كشف عن كل الاسرار وكل الملابسات . لكن ذلك أيضا لم يدم الا لحظة واحدة . أما راسكولنيكوف فقد أثير اثارة عاتية حتى كاد أن يستسلم الى الغضب الرهيب لكنه ـ ولدهشته ـ أطاع الأمر هذه المرة أيضا فأخفت صوته رغم أنه كان في أعلى ذروات الغضب .

تمتم فجأة كما فعل منذ حين ، وقد فهم بألم ممتزج بالحقد بأنه لا يستطيع الامتناع عن اطاعة ذلك الأمر مما دعا غضبه أن يشتد ويتزايد:

ـ لن أدع نفسي أتعذب . أوقفني ! واخضعني للتفتيش . لكن اعمل ذلك حسب الاصول دون أن تتلاعب بي ! ليس لك الحق في هذا ...

قاطعه بورفير بتلك الابتسامة المستهزئة ، وهو يتأمله بنظرة شرهة :

ـ لكن لا تبال بالأصول ! هيا أيها الباسل . لقد دعوتك دون تكلف تماما كالأصدقاء .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لا أريد صداقتك بل انني أبصق عليها ! هل تسمع ؟ خذ ! ها انني أحمل قبعتي وأذهب . فماذا تقول الآن ؟ هل تنوي توقيفي ؟

وأخذ قبعته واتجه نحو الباب .

قال بورفير ضاحكا ، وهو يقبض على ساعده فوق المرفق ويوقفه في اللحظة التي كاد أن يجتاز الباب فيها :

ـ لكن ألا تريد أن أقدم لك مفاجأة صغيرة ؟

كان يبدو عليه أنه غدا أكثر انشراحا وسرورا وأكثر ميلا للمزاح، الأمر الذي جعل راسكولنيكوف يفقد السيطرة على أعصابه !

سأل ، وهو يتوقف فجأة وينظر الى بورفير برهبة :

ـ أية مفاجأة ؟ ماذا تريد أن تقول ؟

ـ مفاجأة صغيرة موجودة هنا وراء هذا الباب . هيه ، هيه، هيه !

أشار باصبعه الى الباب المغلق الظاهر في الحاجز والذي يؤدي الى مسكنه وتابع :

ـ لقد أغلقت الباب على تلك المفاجأة بالمفتاح خشية أن تفر .

ـ ما هي ؟ أين ؟ ماذا ؟

واقترب راسكولنيكوف من الباب وأراد فتحه لكنه كان موصدا.

قال بورفير ، وهو يخرج من جيبه مفتاحا يمد يده به اليه :

ـ ان الباب مغلق بالمفتاح وهذا هو .

زمجر راسكولنيكوف وقد فقد أعصابه نهائيا :

ـ انك لا تني تكذب . أنت تكذب أيها المهرج اللعين !..

واندفع نحو بورفير الذي راح يتراجع نحو الباب دون أن يبدو عليه الفزع وصاح :



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ انني أفهم كل شيء • أنت تكذب • انك تهيجني وتثيرني لكي أفضح نفسي •••

ـ لكنك لن تستطيع بعد الآن أن تفضح نفسك أكثر من ذلك يا روديون رومانوفيتش الباسل • انك الآن في حالة حنق وسخط • لا تصرخ والا فسأدعو رجالي •

ـ أنت تكذب لن يكون شيء ! ادع رجالك ! أنت تعرف بأنني كنت مريضا فأردت أن تعمل على ايلامي واثارتي لتدفعني الى فقد السيطرة على نفسي وبالتالي فضح أمري • نعم ذلك هو هدفك ! كلا • تقدم ببراهينك ! لقد فهمت كل شيء ! ليست لديك براهين • كل ما لديك ليس الا تخمينات حقيرة تنة • تخمينات أدخلها زاميوتوف في رأسك !••• انك عارف بعقليتي فأردت أن تجعلني أفقد السيطرة على نفسي ثم أنهار فجأة بين القساوسة والوكلاء • هؤلاء هم الذين تنتظرهم ، أليس كذلك ؟ ماذا تنتظر ؟ أين ؟ أئت بهم !

دمدم بورفير ، وهو يصغي باذنه الى حركة وراء الباب :

ـ الأمر يتعلق فعلا بالوكلاء ، يا صديقي المسكين • يا لها من أفكار ! حتى ولو كان لمجرد الشكليات كما تقول • فانه لا يمكن أن تتصرف هكذا ، انك لا تعرف الأصول ، يا عزيزي • لكن الأصول لن تخسر شيئا • ولسوف ترى بنفسك •

وفي تلك اللحظة بالفعل انبعثت حركة من الغرفة التي يؤدي اليها باب الحاجز •

هتف راسكولنيكوف :

ـ آه ! انهم آتون ، لقد كنت قد أرسلت في طلبهم !•• كنت



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تنتظرهم ! كنت تعتقد ... حسنا ائتِ بهم كلهم : وكلاء ، شهود ، كل من تريد ! أدخلهم ! انني على استعداد ! انني على استعداد !

لكن في تلك اللحظة وقع حادث غريب ، حادث غير منتظر في السياق العادي للامور ، حتى أن لا راسكولنيكوف ولا بورفير كان ينتظر نتيجة مماثلة ..



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

## ٦

عندما تذكر راسكولنيكوف تلك الدقيقة الأخيرة فيما بعد ، تخيلها على الشكل الآتي :

ازدادت الضجة التي بدأت وراء الباب فجأة ثم وورب الباب قليلا .

فصاح بورفير بيتروفيتش بغضب :

ـ ماذا هناك ؟ لقد نبهت مع ذلك ...

لم يسمع جوابا أول الأمر ، لكنه كان من الواضح أن عددا من الاشخاص كانوا واقفين وراء الباب وكانوا يحاولون دفع شخص ما الى الداخل !

كرر بورفير بيتروفيتش غاضبا :

ـ ماذا هناك ؟

فأجابه صوت :

ـ لقد جئنا بالمتهم نيكولا !

صاح بورفير ، وهو يندفع نحو الباب :

ـ لست في حاجة اليه ! اذهبوا ! انتظروا ! لِمَ أدخلتموه الى هنا ؟ يا للفوضى !

كرر الصوت :

ـ ذلك أنه ...

ثم صمت فجأة .

حدث خلال ثانيتين لون من العراك الحقيقي ثم بدا كأن أحدا قد دفع شخصا آخر بشدة ، وبعد ذلك تقدم شخص شديد شحوب الوجه ، وقصد مباشرة الى مكتب بورفير بيتروفيتش. كان مظهر ذلك الرجل للوهلة الاولى يوحي بشيء غريب جدا .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان ينظر أمامه بحدة ولكنه كان يبدو كأنه لا يرى أحدا • كانت عيناه تلتمعان ببريق حزم وتصميم ، لكن شحوبا مميتا كان بنفس الوقت يغطي وجهه وكأنه يساق الى ساحة الاعدام • كانت شفتاه مبيضتين تماما ترتجفان برعدة خفيفة •

كان رجلا في مقتبل العمر يرتدي ثياب العمال ، متوسط القامة ، نحيل البنية ، محلوق الشعر على شكل « طاسة » ، ذا تقاطيع دقيقة جافة • أما الرجل الذي دفعه ذلك الشاب ليدخل الغرفة ، فقد اندفع وراءه بدوره الى الغرفة وتمكن من الامساك بكتفيه : كان أحد رجال الدرك ! دفع نيكولا الدركي عنه وتخلص منه مرة أخرى •

كان هناك بعض المتطفلين اجتمعوا على عتبة مكتب قاضي التحقيق ، بل ان بعضهم حاول الدخول • وقع كل هذا خلال لحظات معدودة قصيرة •

زمجر بورفير في أوج انزعاجه وغضبه :

ـ اذهب ، لم يحن الوقت بعد • انتظر حتى ندعوك• لم أدخلوك الآن ؟

ركع نيكولا فجأة على ركبتيه ، فهتف بورفير ذاهلا :

ـ ماذا تعمل ؟

تمتم نيكولا فجأة بصوت مختنق ولكن شديد النبرات :

ـ انني مجرم ! انها غلطتي ! انني قاتل !

خيم سكون هائل خلال عشر ثوان حتى ليخيل أن العالم كله أصيب بداء السكتة ، حتى أن الدركي نفسه سقطت يداه دون وعي وتراجع من الغرفة نحو الباب حيث وقف جامدا •

هتف بورفير ، وقد تخلص من ذهوله القصير :

ـ ماذا تقول ؟



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كرر نيكولا بعد صمت قصير :

ـ انني ... قاتل ...

ـ كيف ... أنت ! كيف ؟ من قتلت ؟

كان يبدو على بورفير أنه فقد اتزانه بشكل ملحوظ .

صمت نيكولا لحظة ، ثم أضاف فجأة :

ـ آليونا ايفانوفنا وأختها اليزابيت ايفانوفنا ... لقد قتلتهما بضربات فأس . لم أكن مالكا قواي ...

صمت من جديد دون أن ينهض من جثوه !

بدا على بورفير بيتروفيتش أنه يفكر . لكنه انتفض فجأة ولوح بيده مشيرا الى الشهود غير المنتظرين بالانسحاب ، فانسحب هؤلاء فورا ثم اغلق الباب من جديد . عاد ينظر الى راسكولنيكوف الذي كان واقفا في احدى الزوايا يتأمل نيكولا بشرود . كاد أن يخاطبه عندما توقف فجأة وراح يتأمله ، ثم نقل نظره الى نيكولا ومن الى راسكولنيكوف وعاد به مرة أخرى الى نيكولا . وفجأة اندفع نحو نيكولا بشيء من الغضب وصاح به بصوت حاقد :

ـ لِمَ جئت تقول لي سلفا بأنك كنت فاقدا قواك العقلية ؟ لم أسألك بعد اذا كنت ذاهلا أم لا ... تكلم ! أأنت القاتل ؟

غمغم نيكولا :

ـ انني القاتل ... انني أعترف بذلك .

ـ آه ... آه ... وبأي شيء قتلت ؟

ـ بفأس كنت حملتها معي .

ـ آه ... انك تسرع الى النتائج ... أكنت وحيدا ؟

لم يفهم نيكولا السؤال .

ـ هل كنت وحيدا حينما قتلتها ؟



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ وحيدا . ان دميتري بريء ، انه لم يشترك مطلقا في الجريمة.

ـ لا تتحدث بسرعة عـن دميتري . اه . اه ... كيف فعلت ذلك ؟ كيف تصرفت لتنزل السلم ؟ لقد قابلك البوابان .

أجاب نيكولا وقد بدا عليه الاستعداد للاجابة على كل سؤال وكأنه يعجل النهاية :

ـ لقد فعلت ما فعلت لأبدد شكوكهم ... عندئذ ... ركضت وراء دميتري ...

صرخ بورفير بغضب :

ـ أهذا صحيح .

ثم غمغم يحدث نفسه، وقد عاد بصره فتوقف على راسكولنيكوف:

ـ انه يكرر ما أوحي به اليه .

لقد اجتذب نيكولا جل اهتمامه حتى أنه نسي أو تناسى وجود راسكولنيكوف ، فلما تذكره بدا وكأنه خجل ...

ـ يا روديون رومانوفيتش الشجاع ، اعذرني ...

وأشار له برأسه ، وهو يمسكه من ذراعه ووجهه نحو الباب :

ـ لا يمكنك البقاء هنا أرجوك ... لم يعد لديك ما تفعله هنا ... انني شخصيا كما ترى ... آه ، يا للمفاجأة !.. أرجوك !

قال راسكولنيكوف الذي لم يكن بدوره قد فهم شيئا مما حدث، ولكنه كان بالمقابل قد استرد الشيء الكثير من رباطة جأشه :

ـ يظهر انك لم تكن تتوقع هذا ؟...

ـ لعمري كلا ... ولا أنت على ما أظن ، انك لم تكن تتوقع ذلك بالمثل ... هيا ماذا بك ... ان يدك ترتجف ها ! ها !

ـ انك أنت أيضا ترتعد ، يا بورفير بيتروفيتش .

ـ نعم انني أرتعد أنا الآخر . انني لم أكن أتوقع مثل هذا .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كانا قد بلغا باب المكتب ، وكان بورفير ينتظر بفارغ صبر أن ينسحب راسكولنيكوف .

قال راسكولنيكوف فجأة :

ـ هيا ... أين مفاجأتك الصغيرة ؟ لِمَ لا ترينيها ؟

ـ رباه . أنت تسخر في حين لم تتوقف أسنانك بعد عن الاصطكاك ! ها ها ! انك لا تعدم المزاج ! الى اللقاء !

ـ بل أعتقد أنه الوداع .

غمغم بورفير بلون من الهمس :

ـ سيكون كما يشاء الله ، نعم كما يشاء الله .

عندما اخترق راسكولنيكوف المكاتب في طريق الخروج، لاحظ أن هناك من ينظر اليه محدقا . كما شاهد في الردهة بين جمع من الناس البوابين اللذين كانا في ذلك « البيت » ، والذي عرض عليهما « ذاك المساء » أن يرافقهما الى قسم البوليس . كانا واقفين يبدو عليهما أنهما ينتظران شيئا .

لكنه لم يكد يبلغ رأس السلم حتى سمع صوت بورفير بيتروفيتش وراءه ، ولما استدار شاهد قاضي التحقيق يلهث من التعب الذي سببه له تهافته على اللحاق به ، قال :

ـ كلمة صغيرة ، يا روديون رومانوفيتش . ان كل ما حدث سينتهي كما يشاؤه الله! ومع ذلك سوف أستجوبك مراعاة للشكل فقط ... اذن ، لسوف نلتقي مرة أخرى ولا شك !

توقف بورفير أمامه وعلى فمه ابتسامة ، وأضاف مرة أخرى :

ـ لا شك.

كان يمكن القول بأنه كان يرغب الافصاح عن شيء آخر ، لكنه لم يضف كلمة الى ما قال .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

شرع راسكولنيكوف يقول ، وقد استعاد هدوءه نهائيا بل وشعر برغبة لا تقاوم تدفعه الى التهكم :

ـ وأنت يا بورفير بيتروفيتش ، أعذر موقفي حيالك منذ حين . لقد غضبت وانفعلت ...

أردف بورفير بلهجة أنيسة نوعا :

ـ لا عليك ، لا عليك . انني شخصيا كنت ... انني ذو عقلية سامة قاسية ، اعترف لك ، نعم أعترف . لكننا سنلتقي . ان شاء الله سنلتقي أكثر من مرة أخرى .

وعقب راسكولنيكوف :

ـ ولسوف نتعارف نهائيا وتماما .

أيد بورفير بيتروفيتش أقوال راسكولنيكوف وهو يغمز له بعينه ويتأمله جديا :

ـ معرفة نهائية ! لسوف تذهب الآن لتقيم حفلة عيد ميلاد ؟

ـ بل الى مأتم .

ـ ماذا ؟ أهو صحيح ، مأتم ! دار صحتك . ان الصحة كما ترى ...

عاد راسكولنيكوف يقول ، وهو يهبط السلم :

ـ من جهتي ، لست أدري أية أمنية أوجهها لك . انني أتمنى لك كل توفيق عن طيبة خاطر لأنك كما ترى تشغل وظيفة غريبة شاذة !

قال بورفير ، وقد أنصت باهتمام بعد أن كان قد أدار له ظهره :

ـ لم هي شاذة وغريبة ؟

ـ لكن ماذا دهاك ؟ خذ مثلا نيكولا المسكين . لا شك أنك مزقته وعذبته على طريقتك أشد العذاب ـ من الناحية النفسانية طبعا ـ لكي يعترف . لقد اضطررت أن تبين له ليل نهار بأنه قاتل . والآن ، وقد جاء يعترف بأنه قاتل ، تبدأ أنت من جديد فتنهال عليه : « أنت تكذب ، أنت



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لست القاتل ! ليس أنت من استطاع ارتكاب هذه الجريمة ! انك لا تقول الصدق ! » فكيف بعد هذا لا تكون وظيفتك غريبة وشاذة ؟

ـ ها ، ها ، ها ! اذن لاحظت منذ حين بأنني قلت لنيكولا بأنه ينطق بما أوحي به اليه ؟

ـ كيف لا ألاحظه ؟

ـ ها ، ها ! انك دقيق الملاحظة ، انك دقيق الملاحظة . انك تلاحظ كل شيء ! ان لك عقلا ولا شك ميالا الى المـزاح ! ولقـد لمست الحبل الهزلي.. ها ، ها ! يقال ان بين جميع الكتاب كان جوجول (١) Gogol وحده يمتاز بهذه الخاصة بأشد الارهاف .

ـ نعم جوجول .

ـ هو كذلك جوجول ... يسرني لقاؤك .

عاد راسكولنيكوف مباشرة الى غرفته . كان متعبا منهوكا حتى أنه لم يكد يدخل الحجرة حتى ألقى بنفسه على الأريكة ولبث ربع ساعة جالسا صامتا يستريح من عنائه ويحاول ترتيب أفكاره فقط . لم يحاول قط أن يجد تفسيرا لسلوك نيكولا لأنه كـان يشعر بالذهول مستوليا عليه، كان يشعر أن وراء اعتراف نيكولا شيئا لا يفسر، شيئا مدهشا لم يكن في تلك اللحظة قادرا على التعمق فيه واختراق حجبه. وفجأة بدت له ملابسات هذا الأمر العجيب بوضوح . سوف يظهر خطأ هذا الاعتراف بعد قليل وعندئذ سيعودون من جديد اليه. لكنه لم يكترث لذلك . كان عليه أن يقوم بعمل ما في سبيل نفسه لأن خطرا جسيما يهدده .

(١) شاعر وكاتب وروائي روسي ولد في سوروتشينزي (١٨٠٩ ـ ١٨٥٢ ) مؤلف تاراس بولبا والارواح الميتة وعدد من المؤلفات الادبية الروسية القيمة .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لكن الى أي مدى يهدده ذلك الخطر ؟ راح موقفه يتضح . تذكر على الفور الموقف الذي كان له مع بورفير ، تذكره بصورة عامة دون التدقيق في التفاصيل فلم يتمالك أن اقشعر من الفزع . صحيح انه لم يكن قادرا على كشف نوايا بورفير كلها وأفكاره ، لكنه مع ذلك كان قد اكتشف لعبته نوعا ما . لم يكن أحد — مثل راسكولنيكوف — يستطيع أن يتكهن بالنقطة الخطيرة الدقيقة التي بلغت اليها اللعبة التي بدأها بورفير معه . لولا قليل من الحظ ، لكان فضح نفسه أمام قاضي التحقيق مقدما اليه أدلة ملموسة تدعم فعلته . ولما كان بورفير عارفا باضطراب أعصاب راسكولنيكوف ، ذلك الاضطراب المرضي ، فانه راح يعمل على هذا الأساس بعد أن اكتشفه للوهلة الاولى . راح يعمل متأكدا من النتائج رغم أن لعبته كانت سابقة لأوانها قليلا . كان راسكولنيكوف — ولا شك في ذلك — قد استجاب لحظة لقاضي التحقيق فكاد أن يثبت على نفسه الاتهام على شكل ما . لكن الأمر لم يكن قد وصل بعد الى حد « الأدلة » . كان مجرد اشتباه واستنتاجات !

لكن ، هل كان يرى الأمور الآن على حقيقتها ؟ ألم يكن مخطئا في هذا الاستنتاج ؟ ما هي النتيجة التي كان بورفير يتوقعها اليوم ؟ هل كان مدبرا أمرا ما لذلك اليوم بالذات ؟ وما هو ذلك الأمر على وجه التحديد ؟ هل كان ينتظر شيئا ؟ نعم أم لا ؟ كيف كانا سيفترقان ذلك اليوم لولا تلك الكارثة غير المنتظرة التي يرجع الفضل فيها الى نيكولا ؟

لقد ترك بورفير خطته كلها تكتشف دون ترو ، ذلك لأنه لم يكن ينتظر تلك النتيجة . لذلك يمكن القول بأن لعبته كانت سابقة للأوان . لكن هل كان يعمد الى تلك اللعبة — لعبة الارهاق والاثارة — لو كان يمتلك أشياء أخرى بين يديه ؟ انه ما كان يمكن أن يخفيها وهو الذي عمد الى كل شيء في حوزته — أو على الاقل هكذا خيل الى



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

راسكولنيكوف ــ ماذا كانت اذن تلك المفاجأة ؟ هل كانت خدعة ؟ ماذا كان فيها من حقائق ؟ هل كان هناك دليل ايجابي ؟ هل كان ذلك رجل الأمس ؟ أين اختفى ذلك الرجل ؟ أين هو اليوم ؟ لو كان بورفير يمتلك ذلك اليوم شيئا ايجابيا لكان حتما ذا علاقة بذلك الرجل، رجل البارحة ...

كان جالسا على الاريكة منحنيا وقد ركز مرفقيه على ركبتيه وجعل وجهه في راحتي يديه . شعر برعدة عصبية تهز جسمه . أخيرا نهض واقفا وأخذ قبعته ثم فكر لحظة واتجه الى الباب .

شعر باحساس غريب يؤكد له بأنه يستطيع اعتبار نفسه في أمان ذلك اليوم على الأقل ! وفجأة أحس بفرح طاغ يغمر قلبه : أراد أن يذهب فورا الى كاترين ايفانوفنا . لا شك أنه كان متأخرا فيما يتعلق بحضوره مراسم الدفن ، لكنه كان يستطيع الوصول في الوقت المناسب لتناول الغداء الجنائزي . ولعله سيلقى سونيا هناك .

توقف فجأة وراح يفكر وارتسمت ابتسامة مرضية على شفتيه : « اليوم ! اليوم ! نعم اليوم بالذات ! ذلك ضروري ، واجب ... »

كان ذلك هو حديثه مع نفسه ، فلما اتجه نحو الباب وأراد أن يفتحه ، وجد أن هذا قد فتح من تلقاء نفسه . ارتعد وقفز الى الوراء. كان الباب يفتح بهدوء وبطء ! وفجأة برز على العتبة شكل انسان: كان هو رجل الامس ، ذلك الذي انبعث من تحت الأرض .

توقف الرجل على العتبة وراح ينظر الى راسكولنيكوف صامتا، ثم تقدم خطوة داخل الغرفة . كان يرتدي ملابس أمس بالذات ، كان رجل أمس بالذات. لكن وجهه كان يحمل تعابير مختلفة جدا عن تعابير أمس : كان يبدو في تلك اللحظة مرتبكا جدا، لذلك فانه بعد أن توقف برهة أطلق زفرة عميقة ! لم يكن ينقصه في تلك اللحظة ليشبه امرأة



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عجوزا الا أن يضغط خده على راحة يده ، وأن يميل برأسه قليلا الى الجانب .

لبث الرجل صامتا ، وفجأة انحنى أمامه حتى كاد أن يلامس الأرض ، بل انه لمسها بالخاتم الموجود في اصبع اليد اليمنى . هتف راسكولنيكوف :

ـ ماذا تعمل ؟

قال الرجل بصوت خافت :

ـ انني أطلب اليك الصفح .

ـ ماذا ؟ تطلب ماذا ؟ لأي شيء ؟

ـ عن أفكاري السيئة ...

راح كلاهما يتبادلان النظر .

ـ لقد كنت منزعجا! عندما جئت ذلك اليوم ـ ولعلك كنت ثملا بعض الشيء فانك ناديت البوابين وسألتهما عن الدم . لقد استأت عندما وجدتهما يعتبرانك ثملا ولا يهتمان بشأنك . لقد بلغ من استيائي أنني لم استطع النوم ، وبما أنني كنت أذكر عنوانك فقد جئت أمس مساء أسأل عنك ...

سأل راسكولنيكوف ، وقد بدا عليه أنه على وشك فهم القضية بحذافيرها :

ـ من الذي جاء ؟

ـ أنا . أقصد أنني أهنئك .

ـ لقد كنت اذن في ذلك البيت ؟

ـ نعم . لقد كنت قرب الباب العام مع الآخرين . هل نسيت ؟ ان لي هناك كوخا خشبيا منذ زمن طويل ... ان صناعتي قرّاء، وأتعهد كذلك صنع الفراء وتهيئتها ... لكن ما أزعجني على الاكثر...



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وأخيرا تذكر راسكولنيكوف بجلاء مشهد أول أمس أمام الباب العمومي . كان يحدث نفسه بأنه كان هناك ، علاوة عن البوابين ، أشخاص آخرون عديدون وبعض النساء . تذكر أن صوتا كان قد اقترح سوقه الى مركز البوليس فورا . لم يكن يذكر وجه ذلك الذي تقدم بذلك الاقتراح ، حتى أنه الآن أيضا لم يكن متأكدا من أنه سبق له رؤية ذلك الوجه هناك ، رغم أنه تذكر أنه أجابه بشيء في ذلك الحين ، وأنه التفت نحوه أيضا وقال له شيئا ...

وهكذا اتضح أخيرا ذلك السر الرهيب ! كان أشد ذلك رهبة تفكيره في أنه كاد أن يخسر نفسه ويتسلم بنتيجة هذه المسألة « التافهة » ! على ذلك ، فان هذا الرجل الواقف أمامه ، لم يكن اذن يستطيع التحدث الا فيما يتعلق بأسئلته عن الدم ، وبالتالي فان بورفير بالذات لم يكن لديه أي دليل ايجابي ، أي برهان باستثناء ذلك الهذيان . تلك البسيكولوجية ذات الوجهين ! اذن اذا كان قاضي التحقيق يفتقر الى وقائع أخرى ــ الأمر الذي كان واضحا لاستحالة وجود دليل واحد ــ اذن ... اذن ... ماذا يستطيعون أن يعملوا حياله ؟ كيف يستطيعون نهائيا اقناعه باجرامه بل وأن يوقفوه ؟ واذن فان بورفير لم يكن على علم بزيارته لذلك المسكن الا في تلك اللحظة بالذات ، وانه كان يجهل أمر تلك الزياره من قبل .

هتف راسكولنيكوف ، وقد خامرته فكرة مفاجئة :

ــ هل كان تحدثك اليوم مع بورفير حول موضوع زيارتي الى هناك ؟

ــ أي بورفير ؟

ــ قاضي التحقيق ؟

ــ لقد حدثته بذلك . عندما لم يذهب البوابان ذلك اليوم بالذات



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ذهبت اليه اليوم ؟

ـ اليوم ؟

ـ قبل وصولك بدقيقة واحدة . لقد سمعت كل شيء ، كل شيء ! رباه كم عذبك !

ـ أين ؟ ماذا ؟ متى ؟

ـ لكن هناك ، في مسكنه ، وراء الحاجز ! لقد لبثت هناك طوال الوقت !

ـ كذلك اذن كنت أنت « المفاجأة » ؟ لكن كيف وقع ذلك ؟ قل أرجوك !

قال الرجل :

ـ عندما وجدت أن البوابين لا يتفقان معي بالرأي ويرفضان الذهاب الى قسم البوليس بحجة أن الوقت قد فات ، وأن القاضي سوف يؤنبهما أو يعاقبهما على انشغالهما الحضور فورا ، انزعجت جدا حتى فقدت النوم . جمعت المعلومات عن حديثك ، ولما تم لي كل شيء البارحة ، ذهبت صباح اليوم أمثل بين يديه . لم يكن في مكتبه في المرة الاولى ، فعدت بعد ساعة لكنه لم يستقبلني كذلك . أما في المرة الثالثة فقد أدخلت عليه فقصصت الأشياء كما وقعت ، فراح يقفز في الغرفة وهو يضرب صدره بقبضة يده ويصيح : « آه ، أيها الأشقياء ! هكذا اذن تتصرفون معي ! لو علمت ذلك لأرسلت رجال الدرك يبحثون عنه ليأتوني به ! » ثم خرج راكضا ونادى أحدهم وراح يتحدث اليه في احدى الزوايا ، ثم عاد الي وراح يمطرني وابلا من الأسئلة وهو يطلق السباب من فمه كالقذائف . لقد حدثته بكل شيء : قلت له انك لم تجرأ البارحة على الاجابة على أقوالي ، وانك لم تتعرف على وجهي ! فعاد اثر ذلك يقفز من جديد ويضرب صدره بقبضته،



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وينفعل ويثور . فلما أعلن قدومك قال لي : « اختبىء وراء الحاجز وانتظر ولا تتحرك مهما سمعت ! » ثم أتاني بمقعد وأغلق علي البـاب بمفتاح وهو يقول : « يجوز أن أستدعيك » . لكن لما جيء بنيكولا، أطلق سراحي فورا عقب خروجك وهو يقول : « لسوف أستدعيـك مرة أخرى ، ولسوف أستجوبك » .

ـ هل استجوب نيكولا بحضورك ؟

ـ لقد أخرجني من الغرفة بعد خروجك مباشرة ومن ثم عـاد يستجوب نيكولا .

توقف الرجل عن الكلام وعاد ينحني مـرة أخـرى وهو يلمس الأرض باصبعه :

ـ اصفح عن وشايتي والألم الذي سببته لك .

فأجاب راسكولنيكوف :

ـ ليصفح الله عنك !

لم يكد ينطق بهذه الكلمات حتى انحنى الرجـل مرة أخرى ، لكن انحناءة أخف من الاولى ـ حتى وسطه فقط ـ ثم استدار ببطء وخرج من الغرفة .

قال راسكولنيكوف بحزم وثبات :

ـ لا شيء الا نظريات ذات وجهتين .

وغادر غرفته وهو أشد اطمئنانا من أي وقت مضى .

راح يحدث نفسه وهو يهبط السلم : « الآن نستطيع أن نثابر على النضال » . كان يشعر بشيء من الغضب : كـان يـذكر بخجل واشمئزاز « دناءة نفسه وصغارها ! »



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

# القسم الثاني



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

## ١

عداة اليوم الذي وقعت فيه المقابلة الخاسرة التي قضت على آمال بيير بيتروفيتش ، والتي جرت بينه وبين دونيا وبولشيري ألكسندروفنا ، استيقظ هذا من نومه وقد أزيحت الغشاوة عن عينيه. واضطر — رغم عظيم انزعاجه — أن يعتبر ما وقع البارحة أمرا حقيقيا لا يقبل الجدل رغم اعتقاده السابق بأنه أمر خيالي بعيد الوقوع. شعر بأفعى كرامته المجروحة تنهش قلبه وتدميه . لم يكد يغادر السرير حتى مضى الى المرآة يتأمل نفسه فيها . كان يخشى أن يكون الاصفرار قد تغلب على وجهه خلال نومه ؛ غير أنه وجد ألا خطر عليه مطلقا من هذه الناحية في الوقت الحاضر على الاقل ، فراح ينظر الى وجهه النحيل الشاحب المنتفخ قليلا بفعل الشحم الذي تراكم عليه في الأيام القليلة الأخيرة . راح بيير بيتروفيتش يعزي نفسه مفكرا بأنه سوف يستطيع ايجاد حظيرة أخرى في مكان ما لعلها تكون خيرا من هذه وأرفع قدرا ومكانة ! لكنه لم يلبث أن تحرر من هذا الوهم وشعر بوطأة الكارثة، مما جعل صديقه الذي يقطن عنده : السيد آندريه سيميونوفيتش ليبيزياتنيكوف، يضحك ضحكة صامتةساخره. لاحظ بيير بيتروفيتش تلك الضحكة وسجلها فورا في عداد نفاق زميله الشاب . كان يرى أن حساب ذلك الزميل بدأ يتضخم بصوره خاصه منذ وقت قصير ، وتضاعف غضبه عندما فكر في أنه كان يجدر به ألا يطلع آندريه سيميونوفيتش على وقائع حادثة الأمس أبدا . اعتبر تلك الصراحة خطيئته الثانية في يوم واحد بدافع انفعاله وسخطه : لقد شعر بأنه تبسط كثيرا واندفع أكثر من اللازم مع غضبه .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وقع له بعد ذلك عدد من المزعجات والمضايقات في تلك الصبيحة ـ وكأن الأمر كان متعمدا ـ اذ خسر الدعوى التي كان يرافع فيها أمام مجلس الشيوخ وأبلغ بفشله في ذلك اليوم، وضاعف غضبه رفض صاحب المسكن الذي استأجره ليعقد فيه زواجه ويقطن فيه ـ والذي كان بناء على الاتفاق دفع نفقات عديدة لاجراء التعديلات فيه ـ ادخال أي تبديل على نصوص الاتفاق أو اعادة شيء من النفقات اليه ! كان صاحب المسكن من طراز أولئك العمال حديثي الثراء ، ألماني الجنسية ـ فاضطر بيير بيتروفيتش أن يعيد اليه مسكنه الذي أضحى في حالة جديده ! ولم يتوقف الامر عند هذا الحد ، بل تعداه الى مخزن الأثاث الذي رفض كذلك أن يعيد روبلا واحدا من العرابين التي دفعها بيير بيتروفيتش من ثمن الأثاث الذي أوصى بصنعه ، والذي لم يكن قد تسلم منه قطعة واحدة بعد ! فراح يحدث نفسه وهو يصرف على أسنانه : « هل يجب أن أتزوج عامدا لأنني أوصيت على أثاث جديد ؟»

خطرت له فكرة يائسة لكنها راودت ذهنه زمنا : « هل صحيح أنه أضاع كل شيء الى لا رجعة ؟ ألا يمكن بذل محاولة جديدة ؟» وعادت صوره دونيا الفاتنة تمزق قلبه من جديد ، وشعر بهذا العذاب طيلة دقيقة حتى أنه لو أتيح له في تلك اللحظة أن يقتل راسكولنيكوف لمجرد الرغبة لنفذ تلك الرغبة دون تردد .

ناجى نفسه : « لقد ارتكبت خطأ آخر جسيما : ذلك أنني لم أعطهما نقودا من قبل ! ليحملني الشيطان كم كنت يهوديا ! مع أنها لم تكن قضية مصلحة ! كنت أفكر في ابقائهما في العوز ودفعهما الى اعتباري كملك منقذ هبط من السماء . وهكذا ... أوه ! كلا لو انني خلال هذا الوقت أعطيتهما بعض ألف وخمسمائة روبل لاعداد الألبسة وقدمت لهما بعض الهدايا الصغيرة أو اشتريت كل أنواع اللوازم



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

والأليسة الداخلية والحرق وما الى ذلك من القذارات المشابهة من مخزن « كنوب » أو المخزن الانجليزي . آه ! لو انني فعلت هذا ! لكانت القضية أشد وضوحا ... بل وأكثر قوة ومتانة ! ما كان باستطاعتهما القيام بهذا العمل لو أنني فعلت شيئا من ذلك . ان هؤلاء الناس ذوو عقلية خاصة ، يعتقدون أنهم في حال فسخ الخطوبة ملزمون باعادة الهدايا والمال : لكن الاعادة كانت ستكون بالنسبة اليهم صعبة متعبة . ثم انهما كانا سينظران الى الأمر من الوجهة الوجدانية وستقولان في سرهما : « كيف نطرد فجأة رجلا كان حتى الآن شديد الكرم ، كثير الرقة ؟..! » لقد ارتكبت حماقة !.. ومن جديد صرف بيير بيتروفيتش على أسنانه ونعت نفسه بالسخيف .. في سره طبعا.

ازاء هذا القرار الذي اتخذه عاد بيير بيتروفيتش الى المسكن مضاعف الحنق والغضب أكثر مما كان عليه حين خروجه . كانت استعدادات الطعام الجنائزي الذي كان يعد في غرفة كاترين ايفانوفنا تجذب انتباهه . لقد سمع بالأمس عن ذلك الطعام بشكل غير واضح، وظن أنه مدعو ، فهرع الى السيدة ليبيوشسل التي كانت في غياب كاترين ايفانوفنا ــ وكانت هذه متغيبة في المدافن ــ تتشاغل حول المائدة المعدة ، يسألها . فعلم بأن الأمر متصل بطعام جنائزي وقور دعي اليه كل المستأجرين حتى الذين لم تسبق لهم معرفة بالمرحوم. وأن آندريه سيميونوفيتش ليبيزياتنيكوف في عداد المدعوين رغم مشاجرته الأخيرة قريبة العهد مع كاترين ايفانوفنا ، وأنه هو ــ بيير بيتروفيتش ــ لم يكن مدعوا فحسب بل كان منتظرا بفارغ الصبر نظرا لأنه من أرفع المستأجرين اعتبارا . بلغه أيضا أن أميلي ايفانوفنا نفسها دعيت بترحاب رغم الحوادث المؤسفة الأخيرة التي وقعت بينها وبين كاترين ايفانوفنا، وأنها بسبب ذلك التسامح من جانب كاترين كانت في تلك اللحظة تقوم



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

بدور ربة البيت ، الأمر الذي كان يضفي عليها لونا من السرور. كانت ترتدي ثوبا جديدا من الحرير الثمين الأنيق تختال فيه بكبرياء !

كانت هذه المعلومات والوقائع التي توصل بيير بيتروفيتش الى معرفتها توحي اليه بفكره ما ، فعاد الى غرفته أو بالأحرى الى غرفة آندريه سيميونوفيتش ليبيزياتنيكوف وهو فريسة انشغال فكري . كان على حق في قلقه وانشغاله ، ذلك لأنه عرف أن راسكولنيكوف سيكون في عداد الحاضرين .

لبث آندريه سيميونوفيتش ذلك الصباح في غرفته لسبب من الأسباب ، وكان لبيير بيتروفيتش مع ذلك السيد علاقات ودية لكنها طبيعية : كان بيير بيتروفيتش يحتقره ويكرهه الى أقصى الحدود، وكان ذلك الشعور يختلج في نفسه منذ اليوم الأول الذي نزل فيه عنده ! لكنه كان يشعر اضافة الى ذلك بلون من الاحتقار كان قد حل عنده منذ وصوله الى بطرسبورغ وليس بسبب عقليته الاقتصادية المتعنتة فحسب ــ رغم أن هذا هو السبب الحقيقي الرئيسي ــ لكنه فعل ذلك لسبب آخر أيضا . كان قد بلغه ــ لما كان لا يزال في المقاطعة ــ أن آندريه سيميونوفيتش الذي كان تحت وصايته من قبل . انه من أكثر الشباب التقدميين نشاطا ، ويُنظر اليه كما ينظر الى رجل يلعب دورا هاما في عدد من الأوساط الغامضة التي بلغت سمعتها حد الخرافة ! وكانت هذه الشهرة التي حازها ذلك الموصى عليه قد أدهشت الوصي بيير بيتروفيتش لأنه كان يعرف أن تلك الأوساط القوية النفوذ المحيطة علما بكل شيء ، تحتقر كل الناس وتشهّر بكل الناس . فشعر بيير بيتروفيتش بلون خاص من الخوف لم يكن يستطيع تحديده على الضبط ، ذلك أنه بسبب اقامته في المقاطعة لم يكن يسهل عليه أن يكوّن لنفسه أفكارا حقيقية واقعية عن كثير من



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الأمور • لقد سمع أن في بطرسبورغ تقدميين وملحدين ومنشيعين لاحلال العدالة وانصاف المغبونين الخ••• الخ••• لكنه كان ــ شأن الكثيرين غيره ــ يبالغ في تفسير المعنى الذي تشتمل عليه تلك الكلمات، بل ويشوهه حتى يبلغ به درجة الوهم والشذوذ ! كان يخشى منذ سنوات طويلة التشهير بين الجماهير ، فكان هذا الخوف السبب الرئيسي الذي ارتكز عليه قلقه وراح ينمو خصوصا عندما قرر أن ينقل حقل نشاطه الى بطرسبورغ • كان يخاف حتى الاطفال بهذا الصدد • لقد عرض عليه قبل سنوات ــ أثناء وجوده في المقاطعة، وكان في بدء حياته العملية ــ حادثان كان ضحاياهما من الشخصيات القوية التي ذهبت ضحية ذلك التشهير القاسي ! تبرع مدافعا عنهم بكل قواه فبسطوا حمايتهم عليه • لقد انتهت احدى تينك القضيتين نهاية فاضحة بالنسبة لصاحب العلاقة • أما الحادث الآخر فقد أحدث للضحية عددا كبيرا من الارتباكات • لذلك عمد بيير بيتروفيتش حال وصوله الى بطرسبورغ الى تحسس مواقع خطاه • كان مستعدا أن يأخذ المقدمة بين هؤلاء التقدميين لكي يكسب عطف « أجيالنا الناشئة » ! وكان يعتمد في هذه الخطوه على آندريه سيميونوفيتش • وبفضله استطاع، أثناء زيارته لراسكولنيكوف ، أن يتدبر ويصوغ تلك العبارات التي ألقاها أثناء الحديث ، والتي كان التقطها تنفا من أحاديثه مع آندريه سيميونوفيتش •

غني عن الذكر أنه بعد فترة من بقائه راح بيير بيتروفيتش يعتبر آندريه سيميونوفيتش غاية في التبذل والبساطة • لكنه لم يقتنع بنجاته من الخطر ولم يستطع تبديل رأيه • لم يجد على العموم ما يعمله بكل تلك المعلومات والافكار والدراسات والاساليب التي كان آندريه سيميونوفيتش يوقر أذنيه بها ! لقد كان له هدفه الخاص • كان يريد أن يعرف بأسرع ما يمكن الأجوبة على « لم وكيف » المتعلقتين بهذا



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أو ذاك من الاوضاع ، وأن يتأكد من قوة هؤلاء « الاشخاص » أو ضعفهم . وهل بمقدورهم خلق « شيء » يضر به شخصيا ؟ كان يريد أن يعرف : هل يستطيعون فضح أمره مثلا اذا اندمج في مشاريع معينة أم لا ؟ وما هي النقاط التي يستطيعون بناء تشهيرهم عليها ؟ انه كان يريد أن يعرف هل يمكن محاولة الخداع والتلاعب مع هؤلاء «الناس» اذا كانوا بالفعل أقوياء ؟ هل يجب خداعهم أم لا يجب ؟ هل كان يستطيع الاعتماد على منظماتهم ليبني عليها مركزا ممتازا لنفسه ؟ وبكلمة واحدة كانت هناك مئات من الأسئلة تتطلب أجوبة .

كان آندريه سيميونوفيتش ذاك رجلا ساذجا قصير القامة هزيلا مصابا « بداء الخنزير » ، يشتغل موظفا في مكان ما . كان لونه أشقر فاتحا وله سالفان طويلان يفخر بهما يصلان حتى أسفل عظم الحنك ، وكان كذلك يشكو دائما ـ تقريبا ـ آلاما في عينيه . كان ذا مزاج مائع يظهر في خطاباته وأقواله كثيرا من الاعتداد الذي يبلغ أحيانا مبلغ القسوة ويتناقض تناقضا مضحكا مع عقليته الماكرة . وكانت أميلي ايفانوفنا تعتبره من أحسن المستأجرين لأنه لم يكن يثمل أبدا، ولأنه كان يدفع أجرة سكنه بانتظام ! ولولا هذه المزايا لكان آندريه سيميونوفيتش سخيفا ثقيل الظل . كان منخرطا في الحزب التقدمي « والاجيال الناشئة » يبدي نحوه حماسا متوقدا . كان واحدا من أولئك البلهاء المندفعين الذين لا يتورعون أبدا عن اتباع الفكرة الرائجة ، يقبح ويشوه كل شيء يلمسه حتى ولو كان يميل اليه باخلاص !

بلغ ليبيزياتنيكوف حذا جعله ـ رغم ما كان عليه من الدعة والتبسط ـ يبرم بوصيه السابق بيير بيروفيتش حتى بات لا يطيق احتماله ، بل ويمكن القول ان تلك الكراهية أصبحت متبادلة من كلا



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الجانبين وقد نبتت بينهما بشكل عرضي. أدرك آندريه سيميونوفيتش أخيرا ، رغم بساطته ، أن بيير بيتروفيتش كان يخدعه ويزدريه وأنه لم يكن قط كما كان يريد أن يبدو. كان قد حاول أن يعرض عليه أسلوب فوربير Fourier (١) ونظريات داروين . لكن بيير بيتروفيتش راح في الأيام الأخيرة يصغي اليه بشيء من التهكم ، بل أهانه في الأيام الأخيرة ! والسبب في ذلك أن لوجين بدأ يفهم مؤخرا أن ليبيزياتنيكوف ليس سخيفا صغيرا فحسب ، بل انه كذلك مهذار محروم من كل علاقة هامة في الوسط الذي هو منه ، وأن كل ما كان يعرفه من معلومات ونظريات كانت تأتيه عن طريق ايحاء شخص ثالث . ثم انه توقع ألا يكون قويا في قضية « الدعابة » التي كان ينوق اليها ، لأنه وجده فارغا لا يمكن الاعتماد على مؤهلاته كواحد من ناشدي العدالة .

ونسجل في هذه المناسبة أيضا أن بيير بيتروفيتش كان ــ طيلة أيامه العشرة التي أقامها مع ليبيزياتنيكوف ــ يتقبل باعتبار، وخصوصا في الفترة الاولى ، كل الاقوال والآراء الغريبة التي كان يقدمها اليه آندريه سيميونوفيتش ، أو أنه على الاقل كان يمتنع عن الاعتراض عليها . فكان يصمت مثلا لما كان آندريه سيميونوفيتش يعزو اليه قرار اقامة وحدة اشتراكية جديدة مقبلة في مكان ما من شارع «بورجواز»، أو أن يدع دونيا وشأنها اذا شاءت بعد شهر واحد من زواجهما أن تتخذ لها عشيقا ، أو ــ أكثر من ذلك ــ أن لا يعمّد أولاده الخ. الخ. كان حسب عادته لا يناقش تلك الاقوال ولا يناقضها ، بل ولم يكن ينفي ما يُعزى اليه منها بل وكان يسمح أيضا أن يُمتدح على هذا الاساس لشدة ما كان المديح ــ من أي نوع كان ــ يعزيه ويرضيه .

---

(١) شارل فوربير فيلسوف وعالم نفساني فرنسي ولد في بيزانسون ١٧٧٢ ومات ١٨٣٧ وهو رئيس المدرسة الفالانستيريانية « الوحدة الاشتراكية » ــ المترجم ــ



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كان بيير بيتروفيتش ، لسبب ما ، قد أبدل ذلك الصباح بعض الاسهم بنقود • فكان جالسا الى المنضدة يعد رزم الأوراق المالية والاعتبارية • أما أندريه سيميونوفيتش الذي كان معدما أبدا، فانه كان يتجول في الغرفة ويتظاهر بالنظر الى تلك الاوراق المالية نظرة لامبالاة بل ونظرة احتقار • غير أن بيير بيتروفيتش ما كان يصدق أبدا أن أندريه سيميونوفيتش ينظر حقيقة الى ذلك المال باستخفاف • وكان أندريه سيميونوفيتش بالمقابل يفكر بمرار بأن بيير بيتروفيتش كان في واقع الحال مقتدرا ومستعدا تماما لانتهاز هذه الفرصة لاغاظة صديقه الشاب بنثر هذه الاوراق المالية على المنضدة ، مذكرا اياه بتفاهته وبكل الفارق البعيد القائم بينهما بوضوح •

وجده في تلك المرة أكثر انفعالا وأقل انتباها من كل مرة سبقت حتى أنه ــ هو أندرية سيميونوفيتش ــ انطلق مندفعا في شرح نظريته المفضلة : اقامة « اشتراكية » جديدة ذات طابع خاص ! فكانت الاجوبة القليلة التي راح بيير بيتروفيتش يتفوه بها بين الحين والحين ــ وهو مستمر في احصاء الرزم النقدية وتبديل مواضعها ــ طافحة بالسخرية الجريئة الوقحة • لكن أندريه سيميونوفيتش ــ كواحد من « الانسانيين » ــ عزا مزاج بيير بيتروفيتش الغريب الى التصدع الذي حصل بينه وبين دونيا ، فراح يتحرق شوقا الى اثارة هذا الموضوع • كان عليه أن يتفوه ببعض العبارات «التقدمية والدعاوية» لكي يعزي صديقه المحترم، ولتكون ذات فائدة في تنمية نفسيته «دون أدنى شك » •

سأل بيير بيتروفيتش مقاطعا أندريه سيميونوفيتش في نقطة من أشد النقاط أهمية في حديثه •

ــ ما هو هذا الطعام الجنائزي الذي يعدونه لدى ... تلك الارملة ؟



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ كأنك لا تعرفه ! لقد حدثتك البارحة في هذا الموضوع وعرضت لك آرائي حول كل هذه الاحتفالات . لقد دعتك أنت الآخر حسب ما سمعت ، وقد تحدثت بنفسك معها البارحة ...

ـ ما كنت أنتظر أن تكون تلك الحمقاء ـ وقد بلغت بها الفاقة هذا المبلغ ـ مستعدة لانفاق مـــال تلقته من أحمـق آخر اسمـه راسكولنيكوف في سبيل اعداد طعام ... بل لقد دهشت بنفسي منذ حين حينما مررت هناك وشهدت تلك الاستعدادات : حتى الخمرة لم تخل منها المائدة . لقد دعت عددا كبيرا من الاشخاص ... الشيطان يعرف ما هذا !

وأردف بيير بيتروفيتش ، وقد بدا أنه يغذي فـكره معينة في رأسه :

ـ ماذا ؟ أتقول بأنني مدعو كذلك ؟ متى ؟ انني لا أذكر !

ثم رفع رأسه قليلا واسترسل متمما حديثه :

ـ على كل حال ، سوف لن أذهب ! ماذا سأعمـل هناك ؟ لم أحدثها البارحة الا بقولي انها تستطيع أن تحصل على منحـة مباشرة تعادل أجرة زوجها عن عام واحد بصفتها أرملة موظف شديدة العوز . ولعلها دعتني من أجل هذا . ها ! ها !

قال ليبيزياتينكوف :

ـ انني كذلك لا أنوي الذهاب الى هناك !

ـ لم يكن ينقص الا هذا ! لقد ضربتها بيدك أمس . ولسوف يفهم أنك تتذرع بهذا السبب لعدم الذهاب ، هاهاها !

سأل ليبيزياتينكوف بانفعال وقد احمر وجهه :

ـ ضربت من ؟ عمن تتحدث ؟

ـ نعم ، لقد ضربت كاترين ايفانوفنا منذ شهر ... هيا ! لقد



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

علمت ذلك أمس ... ها هم أولاء جماعتك بنظرياتهم ... هذه هي أساليبهم في تسوية المشاكل النسائية . ها ها ها !

عاد بيير بيزوفيتش يؤدي عمله بين جمع واحصاء بلهجة مرحة.

أجاب ليبيزياتنكوف غاضبا ، وقد كان من عادته أن يثور وينفعل كلما أعيدت على مسامعه هذه القصة :

ـ انها حماقة وسبة ! لم تحدث الأمور هكذا كما تحدثت .. لم تقع الأمور هكذا أبدا مطلقا ! لقد أسأت الفهم ! انها أكاذيب كريهة ! انني كنت أدافع عن نفسي فحسب ! انها هي التي هاجمتني مشرعة أظافرها . لقد جذبتني من سالفي ... انه مسموح للرجل على ما أعتقد أن يدافع عن شخصه ... ثم ـ وهذا مبدئي ـ انني لا أسمح بأن أعامل بالشدة والقسوة لأن ذلك لون من الاستبداد . هل كان يجب أن أقف أمامها دون حراك ؟ انني لم أعمل أكثر من دفعها عني.

أردف لوجين متضاحكا بوحشية :

ـ تا ! تا ! تا !

ـ انك تحاول مخاصمتي لأنك سيء المزاج اليوم ... لكن هذه ليست الا حماقات وليس لها أي شأن في قضية « النهضة النسائية » ! لقد أسأت الفهم . انني أفكر بأنه اذا كان تساوي المرأة بالرجل في كل المرافق الاجتماعية وحتى من حيث القوة مقبولا ـ وهو بالواقع مقبول ومؤكد ـ فان المساواة ينبغي كذلك أن تكون شاملة من هذه الناحية بالمثل . لا شك أنني فكرت بعدئذ بأن مسألة كهذه ما كان يمكن أن تعرض في الواقع لأن المشاجرات والمخاصمات لا ينبغي أن تكون ، وهي ـ أي المخاصمات ـ لن تكون مقبولة أو حاصلة في المجتمع المقبل ! على هذا فانه من الغريب أيضا البحث في المساواة في التخاصم . انني لست غبيا الى هذا الحد ... ان المشاحنات والمشاجرات ، رغم أنها موجودة ، أقصد أنها في المستقبل لن تكون ، رغم أنها في الوقت



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

الحاضر لا زالت في الوجود !... هه ! يا للشيطان ... يستطيع الانسان أن يكون صريحا معك ... انني لن أتخلف عن حضور الوليمة من أجل هذا الحادث العرضي بل حفاظا على المبدأ ! انني لا أريد أن أشرك في هذا التقليد السخيف الفاسد !... الطعام الجنائزي ! هذا هو السبب ، ومع ذلك فانني أستطيع الذهاب ولو على سبيل الهزء والسخرية . لكن لسوء الحظ لن يكون هناك قساوسة ، والا لذهبت حتما .

ـ تعني أنك كنت في هذه الحالة ستذهب وتجلس الى المائدة لتبصق على ألوان الطعام ، بل وعلى الأشخاص الذين دعوك . أليس كذلك ؟

ـ ليست القضية قضية بصاق مطلقا ! انها قضية احتجاج ومعارضة ! سأعمل ذلك في سبيل غايات نافعة . انني أستطيع أن أنتهز الفرص بشكل غير مباشر لأخدم الدعاية . ان كل رجل مدعو الى المساهمه في مجهود الدعاية . وكلما قام بها بشكل حاسم كلما كان ذلك أكثر فائدة وأعم جدوى . انني أستطيع أن أزرع الفكرة ، الحبة ... ولسوف ينجم عن تلك الحبة واقع ثابت ... هل أنا مدين لهم بشيء ؟ انهم سيشعرون أولا بشيء من الهوان لكنهم لن يلبثوا حتى يروا بأنفسهم أنني ذو نفع لهم في أمر من الأمور . كذلك عندنا ، في فضية «تيربييف» ـ تلك التي انتهت الآن الى « الوحدة الاشتراكية » ـ لقد تركت منزل أبويها وأسلمت جسدها . فكتبت الى أبيها وأمها تقول انها تستطيع العيش وسط معتقدات سخيفه وأنها ترغب في ممارسة الزواج الحر ! فاستنكروا منها هذا وزعموا أن الاسلوب كان شديد الفظاظة والقسوة نحو والديها ، وان كان باستطاعتها توفير العناء عليهم والكتابة اليهم بلهجة أكثر لطفا ولباقه . أما بالنسبة الي ، فان كل هذه الاشياء ليست الا حماقات ، فلا حاجة اذن الى اضافة أو تعديل شيء على الاسلوب



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

والشكل بل على العكس ، طالما أن الأمر كان بصدد الاعتراض على شيء والاحتجاج ضده ! خذ مثلا السيدة فارانتز ! لقد عاشت ثماني سنين مع زوجها ثم هجرت فجأة طفليها وفسرت ذلك في رسالتها الى زوجها بكل وضوح : « لقد فهمت بأنني لن أستطيع أبدا أن أكون سعيدة معكم . سوف لن أصفح عنكم مطلقا اذ أخفيتم عني وجود تنظيم اجتماعي آخر بواسطة الوحدات الاشتراكية . لقد عرفت بالأمر حديثا بفضل رجل شهم منحته جسدي . ولسوف أذهب معه لنؤسس معا اقامة اشتراكية. انني أقول لكم ذلك بصراحة لأنني أعتقد أنني اذا خدعتكم فلسوف يكون عملي هذا غير نبيل . تدبروا أمركم كما يحلو لكم . لا تنتظروا مني أن أعود . انكم رجعيون شديدو التأخر . انني أرغب في أن أكون سعيدة » . هكذا يجب أن تكتب الرسائل من هذا النوع .

ـ هذه الـ « تيريبيف » ، أليست هي التي قلت لي عنها انها بلغت زواجها الحر الثالث ؟

ـ انها لم تبلغ بعد الا الزواج الثاني هذا اذا عوينت الأشياء على حقيقتها ! ثم لنفرض أنها تزوجت للمرة الرابعة أو الخامسة فان ذلك عديم الأهمية ! انني اذا أسفت مرة لموت أقربائي فان ذلك الاسف سيكون اليوم ! انني أتصور أبدا أنهم لو كانوا على قيد الحياة « لأطلقت » عليهم احتجاجا بديعا ! نعم ، كنت تصرفت على هذا النحو عامدا ... كنت أفهمتهم نوع العقائد التي أدين بها ! وأعتقد أنهم كانوا سيذهلون من الدهشة ! حقا انني آسف لأنني فقدتهم كلهم !

قاطعه بيير بيتروفيتش :

ـ لتدهشهم ؟ هم ؟ حسنا افعل ما يروق لك ... لكن ، قل لي ، هل تعرف ابنة المرحوم تلك الصغيرة الهزيلة ... هل صحيح كل ما يروى عن سمعتها ؟ هم ؟

ـ وماذا بعد ؟ في رأيي ، أقصد حسب عقيدتي الشخصية ، أن



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

موقفها هو الموقف الطبيعي للمرأة • لمَ لا ؟ أقصد لتميز الامـر : ان موقفها في المجتمع الحاضر ليس طبيعيا تماما لأن بواعثـه هي الحاجـة والعوز اللذين أرغماها على سلوك هذا السبيل • أما في المجتمع المقبل فانه سيكون طبيعيا تماما لأنه سيكون مجتمعا حرا • ثم ان من حقهـا الآن أيضا أن تستسلم لمن تشاء ! لقد كانت تتـألم ، وهذا الألم هـو رأسمالها الذي لها كل الحق في أن تتصرف به كما تشاء طبعا ! ان المجتمع المقبل لن يكون فيه مكان لمثل هذه الاسس ، بل ان دور الفتاة العـامة سيكون له مظهر آخر ، لسوف يسوّى بشكل معقول منطقي • أمـا صوفي سيميونوفنا ، فانني أنظر الى تصرفاتها خلال هذه المدة عـلى اعتبارها احتجاجات عنيفة ناطقة ضد التنظيم الاجتماعي ! انني أعطف على تلك التصرفات كثيرا بسبب هذا بل انني أغتبط اذ أراها على هذا النحو !

ـ مع ذلك فقد سمعت أنك كنت السبب في طردها من هذه الدار!

غضب ليبيزياتنيكوف حتى غدا وجهه شديد الاحمرار ، وزمجر :

ـ افتراء جديد ! لم يقع الأمر هكذا ، ليس هكذا أبدا ! انهـا كاترين ايفانوفنا التي روجت كذلك هذه الاشاعة المغلوطة لأنها لم تفهم الغاية • هل كنت حقيقة أميل الى صوفي سيميونوفنا أو كنت مشغوفا بها ؟ أبدا ، لقد كنت أقتصر في علاقتي معها على تنشئتها وتثقيفها فقط بشكل خال من الغاية والغرض لأوقظ فيها روح الاحتجاج •• انني لم أكن أنشد الا الاحتجاج فحسب • ولقد فهمت صـوفي سيميونوفنا بنفسها بأنها لا تستطيع الاقامة في هذه الدار المؤثثة •

ـ هل كنت تدعوها الى الانضمام الى الوحدة الاشتراكية ؟

ـ انك تتعمد السخرية ولكنك لا توفق ـ واسمح لي بأن ألاحظ هذا ـ انك لا تسمع شيئا • ليس في الوحدة الاشتراكية أدوار كهذه• بل ان الوحدة الاشتراكية قد أقيمت خصيصا لمحو هذه الادوار وافنائها•



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ان هذا الدور يتبدل في الوحدة الاشتراكية تبدلا كليا : سيصبح حاذقا هناك ما هو سخيف وغبي هنا ، ذلك الذي يبدو الآن ــ بسبب الظروف الحاضرة ــ مخالفا للطبيعة سيصبح هناك طبيعيا • كل ذلك يتوقف على البيئة والوسط اللذين يكون فيهما الرجل • ان كل شيء متوقف على « الوسط » والرجل لا حساب له فيه • انني على أحسن تفاهم مع صوفي سيميونوفنا ، والدليل على ذلك أنها لم تعتبرني أبدا عدوا لها أو شخصا مهينا • نعم ! انني أجتذبها في هذه الاثناء نحو الوحدة الاشتراكية لكنني أقوم بذلك تبعا لمبادىء خاصة • لم تضحك ؟ اننا نريد أن نقيم لأنفسنا « وحدة » خاصة مبنية على أسس أكثر شمولا واتساعا من كل ما سبقها • اننا نعمل في عقائدنا وتراهات انكارا ! ولو أن دوبروليوبوف خرج من ضريحه الآن لوجد أننا ندافع عنه أمامهم ! انني ــ بالانتظار ــ أتابع تثقيف صوفي سيميونوفنا • انها طبيعة جميلة بل كثيرة الجمال !

ــ وانك تستشمر منها الرائحة الجميلة ، أليس كذلك ؟ هاها !

ــ كلا ، كلا ! آه كلا ! بل على العكس !

ــ على العكس ! ها ! ها ! ها ! انه هو الذي يقول ذلك •

ــ لك أن تصدقني ! اذ لم أخف عنك شيئا ! لمَ أخفي الحقيقة عنك ؟ قل لي أرجوك !

ــ على العكس ، انها بالنسبة الي حالة غريبة : انها في حضوري تبدو مرتبكة ، انها متحفظة بفعل لون من الحياء المذعور و •••

ــ وأنت ــ بالطبع ــ تهذبها وتثقفها ••• ها ها !•• انك تبين لها بأن خفرها وحياءها ليسا الا حماقات ؟

ــ مطلقا! مطلقا! آه! يا لها من طريقة سمجة وسخيفة ــ واعذرني ــ تلك التي تفسر بها كلمة « التثقيف » • لكنك لا تفهم من معاني هذه الكلمة ومراميها شيئا ! رباه ، كم أنت سيء التحضير حتى الآن ••• اننا نطلب حرية المرأة وأنت لا تفكر الا ••• اذا وضعنا جانبا مسألة العفاف



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

والطهارة ، وهي مسألة في حد ذاتها عديمة الأهمية بل وشاذة سخيفة، فانني أتقبل منها تحفظها حيالي طالما أن تلك هي رغبتها ولها كل الحق في التصرف حسب هواها . لا شك أنها اذا قالت لي : « أريدك » لكنت أعتبر ذلك حظا عظيما لأن هذه الفتاة تروق لي كثيرا ، لكن في هذه الاثناء ، في هذه الاثناء على الاقل ، لم يتحدث اليها بعد أحد ــ ولا شك ــ بمثل الادب واللياقة التي أتحدث بها انيها ، بل وبمثل احترامي لأهليتها ... انني انتظر وآمل وهذا كل ما في الأمر .

ــ قدم لها هدية بدلا من هذا ، أراهنك على أنك لم تفكر في هذا حتى الآن ؟

ــ انك لا تفقه شيئا كما حدثتك ! نعم ، تلك هي وضعيتها، ولكن هناك سؤالا آخر ، سؤالا جديدا خاصا ! انك تحتقرها بكل جوارحك بسبب تصرف ــ تعتبره أنت خطأ ــ غير مشرف . بل انك تمضي الى أبعد من هذا الحد فترفض أن تتأمل بانسانية مخلوقا بشريا . انك لا تعرف بعد طبيعتها ! انني آسف لشيء واحد : هو أنها منذ بعض الوقت توقفت عن القراءة واستعارة الكتب مني . لقد كنت أعيرها كتبا من قبل . من المؤسف أيضا أن تكون ــ رغم عزمها وحيويتها في الاحتجاج، ولقد برهنت من قبل على هذا العزم وهذه الحيوية ــ قليلة الاستقلال، تبدو بمظهر سلبي بعض الشيء ، حيال كل هذه التقاليد السخيفة الخاطئة التي يجب أن تتخلص منها دفعة واحدة ... كل هذه الحماقات مع ذلك، فانها تفهم تماما بعضا من المسائل . مثلا : انها فهمت تماما قضية تقبيل اليد أو بعبارة أصح ذلك الجرح المعنوي الذي يسببه الرجل للمرأة بتقبيل يدها . لقد نوقشت هذه القضية عندنا فأطلعتها على تفاصيل المناقشة فور وقوعها . وقد أصغت بانتباه شديد الى ما حدثتها به عن النقابات العمالية في فرنسا . والآن ، فانني أمهدها لتفهم قضية الدخول المباح الى المساكن ، كما تبدو للمجتمع المقبل .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ ما هذا الذي تقول ؟

ـ لقد كان السؤال التالي موضوع مناقشة حادة في الأيام الأخيرة: هل يحق لعضو من أعضاء الوحدة الاشتراكية أن يدخل متى شاء الى غرفة رجل أو امرأة من الأعضاء الآخرين أم لا ... وقد انتهت المناقشة بايجابية هذا الحق .

ـ لكن ماذا يحدث لو كان العضو الآخر يقوم بازاحة ضرورة ملحة ؟

غضب أندريه سيميونوفيتش وصاح بصوت محنق حاقد :

ـ انك لا تفكر الا في هذه الأمور . انك لا تهتم الا بتلك « الضرورات » الملعونه . أواه ! انني أنقم على نفسي وآسف كل الأسف لأنني نوهت أمامك قبل الاوان بتلك الواجبات الملعونة ! ليحملك الشيطان ! انها حجر العثرة بالنسبة لكل من هم على شاكلتك . والأدهى من ذلك ، أنهم يلقون أمامكم بذلك الحجر قبل أن يدركوا الغاية من الموضوع ! كأن ذلك حقا صريحا من حقوقهم ! بل يخيل اليهم أن ذلك يشرفهم ! لقد أكدت أكثر من مرة بأن هذه المسألة لا ينبغي أن تعرض أمام المبتدئين الا في المرحلة الأخيرة ، عندما يكونوا قد اقتنعوا نهائيا بالمبدأ والاسلوب ، وبعبارة أخرى : لا يجوز الا للرجل المثقف تمام الثقافة المتعمق في معرفة الأسرار أن يبحث في هذا الموضوع . ثم قل لي ماذا تجد من مخجلات وحقارة في حفر المراحيض ؟ انني على استعداد ـ قبل أي شيء آخر ـ أن أقوم « بتعزيل » أي مجرى من هذه المجاري ! انني بذلك لا أبدي أية تضحية ! انه عمل كأي عمل آخر ، بل انه أسمى وأجل من حرفة رافائيل أو بوشكين نظرا لأنه أكثر نفعا !

ـ بل انه أنبل أيضا ، أكثر نبلا لعمري !

ـ ما معنى « نبيل » ؟ انني لا أفهم معنى هذه الكلمة عندما تستعمل في وصف عمل انساني . « أكثر نبلا » « أكثر شهامة » ! ان كل



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هذه ليست الا حماقات ، تقاليد بالية أرفض الاستماع اليها ! ان كل ما هو نافع للانسانية ، هو وحده النبيل . انني لا أفهم الا كلمة واحدة : كلمة « نافع » . اضحك ما شئت ، ان الأمر كذلك !

استدار بيير بيتروفيتش . كان قد انتهى من احصاء نقوده وأعادها الى حافظته . غير أنه ــ لسبب ما ــ ترك على المنضدة مبلغا من المال. كانت مسألة حفر المراحيض ، رغم غرابتها ودناءتها ، قد سببت من قبل أكثر من داع للتنافر بين بيير بيتروفيتش وصديقه الشاب . كانت السخافة في الموضوع أن أندريه سيميونوفيتش كان يغضب حقيقة بينما كانت تلك المسألة بالنسبة الى لوجين لونا من التفكه . أما في تلك اللحظة فقد كان يرغب بصورة خاصة أن يثير ليبيزياتنيكوف وأن يغيظه !

كان ليبيزياتنيكوف رغم « استقلاله » وعقليته « الاحتجاجية » لا يجرؤ عادة على مناهضة بيير بيتروفيتش بشكل سافر ، بل كان يتصرف حياله باستمرار بذلك الامتثال المهذب الذي تعوده في صباه . مع ذلك فقد أفلت من بين شفتيه العبارة التالية :

ــ انك رديء المزاج بسبب اخفاقك البارحة !

فقاطعه لوجين بلهجة اشمئزاز متعالية :

ــ قل لي قبل هذا ، هل تستطيع ... أو هل أنت على صلة وثيقة بتلك الفتاة الشابة التي تتحدث عنها أتسمح لك بدعوتها الى هنا ، في هذه اللحظة ، والى هذه الغرفة ؟ ينبغي أن يكونوا جميعا قد عادوا من المقبرة ... لقد سمعت صوت خطى ... وددت أن أرى هذه الفتاة لحظة ...

سأل ليبيزياتنيكوف دهشا :

ــ لكن لماذا ؟



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لا شيء ! أريد أن أتحدث اليها . انني أزمع الرحيل اليوم أو غدا وأنوي قبل ذلك أن أطلعها ... ثم انك تستطيع أن تحضر هذه المقابلة ، بل ان ذلك أجدى ، والا فان الله وحده يعرف كيف ستفسر الأمر .

ـ ما كنت لأفكر في أي شيء ... لقد سألتك هذا السؤال دون أن أعيره أية أهمية . فاذا كنت في حاجة اليها ، فلا أسهل من احضارها . سأذهب لدعوتها . أما أنا ، فثق بأنني لن أزعجكما .

لم تمض خمس دقائق حتى عاد ليبيزياتنيكوف ومعه سونيا . دخلت الغرفة وهي فريسة دهشة قصوى ، فكانت ـ كعادتها ـ ترتعد . لقد كانت تضطرب دائما في مناسبات كهذه ، وكانت ترهب رهبة كبيرة كل وجه جديد وكل المعارف الجدد . لقد كانت كذلك في طفولتها وهي الآن تشعر بذلك الخوف أكثر فأكثر ... استقبلها بيير بيتروفيتش استقبالا « وديا مهذبا » ، ولم يفته أن يضفي على استقباله لمحة من رفع الكلفة . كان يعتقد في نفسه بأنها تتناسب مع مركزه الجدي المحترم ، وبأنها ضرورية عندما يخاطب مخلوقة فتية ، وبمعنى آخر « مغرية » . بادر الى « تطمينها » وأجلسها بالقرب من المنضدة ، قبالته تماما . جلست سونيا وألقت نظرة حولها ، نقلتها بين ليبيزياتنيكوف والمال الذي على الطاولة أمامها . ثم عادت فجأة الى وجه بيير بيتروفيتش فلم ترفع بصرها عنه منذ تلك اللحظة وكأن شيئا فيه كان يوثقها اليه . اتجه ليبيزياتنيكوف نحو الباب فنهض بيير بيتروفيتش ودعا سونيا الى البقاء جالسة واستوقف ليبيزياتنيكوف على العتبة وسأله بصوت منخفض :

ـ هل ذلك « الراسكولنيكوف » هناك ؟ هل جاء ؟

ـ راسكولنيكوف ؟ انه هناك . ثم ماذا ؟ نعم انه هناك ... لقد وصلوا وقد رأيته ... ماذا في ذلك ؟



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ في هذه الحال ، أرجوك بالحاح أن تبقى معنا وأن لا تدعني منفردا مع هذه الفتاة. انها مسألة تافهة، لكن الله يعلم ماذا سيستنتجون منها . لا أريد أن يذهب راسكولنيكوف الى هناك ويقص ... هل فهمت ما أقصد ؟

أجاب ليبيزياتنيكوف ، وكان قد خمن الفكرة التي تعتلج في رأس زميله :

ـ انني أفهم ، انني أفهم . نعم لك الحق ... ولا شك ـ حسب عقيدتي الشخصية ـ انك تبالغ جدا في تصور الخطر ... ماذا يهم ؟ ان ذلك حق من حقوقك . ليكن ، سأبقى . سأمضي قرب النافذة كي لا أزعجكما . في رأيي أن هذا من حقك !

عاد بيير بيتروفيتش يجلس على الأريكة أمام الفتاة ينظر اليها باهتمام ، وفجأة تبدلت سحنته واتخذت تقاطيعها لونا من القسوة والخطورة : « لا تحشري في رأسك أيتها الحسناء أفكارا معينة ! » طال الصمت ففقدت سونيا أعصابها .

شرع بيير بيتروفيتش يقول بلهجة شديدة الرزانة أضفى عليها كثيرا من التودد :

ـ أرجوك أن تتفضلي بالاعتذار عني يا صوفي سيميونوفنا الى المحترمة والدتك ... أعتقد أنني لا أخطىء اذ أنوه بأن كاترين ايفانوفنا تقوم عندك مقام الأم ، أليس كذلك ؟

كان يبدو من لهجته أنه يضمر نوايا ودية صادقة حيالها .

أجابت سونيا بلهجة سريعة مذعورة :

ـ نعم ، في الحقيقة انها تقوم مقام أم لي !

ـ حسنا ، اعتذري لي اذن منها اذ أنني ـ بسبب ظروف خارجة



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عن ارادتي ــ أراني مضطرا الى التغاضي عن دعوة والدتك اللطيفة وعدم مشاطرتكم وليمتكم ، أقصد طعامكم الجنائزي •

نهضت سونيا مسرعة ، وهي تقول :

ــ نعم سأقول لها ذلك ، نعم •

استوقفها بيير بيتروفيتش وهو يبتسم لسذاجة الفتاة وجهلها بأساليب المجتمعات الراقية :

ــ ليس هذا كل شيء • انك لا تعرفينني الا قليلا ، أيتها العزيزة صوفي سيميونوفنا • ما كنت لأسمح لنفسي بازعاجك شخصيا وباستدعاء شخص مثلك الى هنا لسبب تافه كهذا يتعلق بي • ان لي هدفا مختلفا كل الاختلاف عن هذا •

جلست سونيا وعادت الأوراق النقدية من مختلف الالوان تصافح عينيها ، لكنها أشاحت بوجهها ونظرت الى بيير بيتروفيتش : لقد شعرت بأن النظر الى مال الغير ليس الا فاحشة كبرى خصوصا اذا كان الناظر الى ذلك المال شخصا « مثلها » • شخصت ببصرها أولا الى النظارة ذات الاطار المذهب التي كان بيير بيتروفيتش ممسكا بها في يسراه ، ثم الى الخاتم الجميل الكبير المزين بحجر أصفر والذي كان يلتمع في اصبع تلك اليد الوسطى • لكنها أشاحت فجأة ببصرها من جديد وحارت في أمرها فرفعت أبصارها أخيرا وراحت تنظر مباشرة في عيني بيير بيتروفيتش •

تابع هذا أخيرا ــ وبعد صمت ــ بلهجة أكثر خطورة من الأولى:

ــ لقد استطعت البارحة أن أتحدث عرضا بكلمتين مع كاترين ايفانوفنا • لقد فهمت منهما أنها في حالة غير طبيعية ــ اذا جاز لي استعمال هذا التعبير •

قالت سونيا تؤيد قوله بشدة:



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ نعم ... غير طبيعية .

ـ أو اذا شئنا التحدث ببساطة أكثر وبايضاح أكثر: حالة مرضية!

ـ نعم ، اذا شئنا التحدث بشكل أكثر بساطة وأكثر ايضاح ... ، نعم انها مريضة .

ـ هكذا . اذن ، فقد هزتني العاطفة الانسانية و ... و ... الشفقة اذا جاز القول ، فأردت من جانبي أن أكون ذا نفع لها بعد أن تصورت المصير التعس المؤلم الذي ينتظرها بلا شك . يبدو أن الاسرة كلها الآن تعتمد عليك وحدك .

قالت سونيا فجأة ، وهي تنهض واقفة :

ـ اسمح لي بأن أسألك سؤالا . هل حدثتها البارحة عن امكانية الحصول على مرتب ثابت ؟ لقد قالت لي البارحة انك ستتخذ التدابير اللازمة لتسهل لها الحصول على جعالة . فهل هذا صحيح ؟

ـ أبدا بل ان هذا القول لون من الاستحالة . لقد ألمحت الى امكانية حصولها على مساعدة مؤقتة تدفع اليها بوصفها أرملة موظف كان في الخدمة وذلك كله استعانة بالنقود والوساطات . لكني أعتقد أن أباك ليس فقط لم يمض المدة المحدودة في الخدمة ، بل انه لم يكن كذلك موظفا لما توفي . وبكلمة واحدة ، يمكن تحصيل صغير ، لكنه أمل غير محقق . لأنه في الحقيقة ليس هناك حق في المساعدة على الاطلاق بل على العكس ... وهي التي كانت تفكر في جعالة ... ها ها ! ان السيدة تسرع جدا في بلوغ النتائج !

قالت سونيا ، وهي تنهض مجددا محاولة الخروج :

ـ نعم ، لقد كان الامر متعلقا بجعالة ... لأنها امرأة طيبة تصدقه بسرعة ، وانها بسبب هذه الطيبة التي تملأ قلبها تميل بسرعة الى تصديق ... و ... ثم ان هذا في طبعها . نعم ... اعذرني ...



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ اسمعي لي ، انك لم تسمعي بعد كل الأمر .

تمتمت سونيا :

ـ كلا ، انني لم أسمع كل شيء .

ـ فلتجلسي اذن !

جلست سونيا للمرة الثالثة وهي شديدة الخجل .

ـ عندما فهمت مركزها مع طفليها الصغيرين ، أردت ـ كما قلت لك ـ أن أكون ذا نفع لها ضمن حدود امكانياتي ليس أكثر . نستطيع مثلا أن ننظم لمصلحتها اكتتابا أو « يانصيبا » أو أي شيء من هذا القبيل . ان مثل هذه التدابير تتخذ عادة بين الاقرباء بل وبين الاشخاص الغرباء الذين يرغبون في مساعدة شخص ما . لقد أردت أن أتحدث معك بصدد هذا الموضوع . ان القضية ممكنة .

تمتمت سونيا ، وهي تحدج بيير بيتروفيتش بشدة :

ـ نعم ، سيكون ذلك مفيدا ... ان الله من أجل هذا سوف ...

ـ نعم ، سنستطيع تنظيم ذلك . لكننا سنعود الى بحث هذا الموضوع فيما بعد ... أقصد أننا نستطيع أن نبدأ اليوم . لسوف نلتقي هذا المساء وسنتفق و ـ كما يقال ـ سنضع الحجر الاساسي . تعالي لمقابلتي مساء اليوم في الساعة السابعة . انني آمل أن يحضر أندريه سيميونوفيتش حديثنا أيضا ... لكن ... هناك مسألة أريد أن أنوه بها سلفا وقبل كل شيء ، ومن أجل هذه المسألة سمحت لنفسي بأن أزعجك ، يا صوفي سيميونوفنا ، باستقدامك الى هنا . ان من رأيي أن لا يسلم المال الى كاترين ايفانوفنا بالذات ، بل ان تسليمه اليها خطر تماما . وليس طعام اليوم غير شاهد ودليل على صحة قولي . فهي ـ رغم أنها لا تمتلك لقمة تمضغها غدا بأسنانها ، ولا زوجا من الجوارب تضعه في قدميها ـ قد اشترت شراب الروم والجماييك بل انها ـ على ما



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أظن ـ اشترت نبيذ مادیرا وقهوة . لقد شاهدت ذلك وأنا أخطر من هناك . وغدا ستجدين نفسك ملزمة باحتمال كل شيء حتى تقديم خبزهم اليومي ! هيا ، ان هذا شاذ ! وعلى هذا فان الاكتتاب ينبغي أن يتم بشكل يجعل الأرملة التاعسة لا ترى لون النقود ، بل تكونين أنت القيمة على المال . فهل هذا موافق ؟

ـ لست أدري . انها اليوم فقط تسير على هذا الشكل من الاتفاق . ان ذلك لا يحدث الا مرة واحدة في العمر . انها تود من صميم قلبها أن تمجد ذكر المرحوم وترفع من شأنه ... انها شديدة الذكاء . على العموم ، اعمل ما يروق لك . سأكون ممنونة جدا جدا .. بل سيكونون جميعا ... والله ... وكذلك الأيتام .

لم تستطع سونيا اتمام حديثها بل انخرطت في البكاء .

ـ فكري تماما في كل ما قلته لك . والآن أرجو ـ ونحن بالانتظار ـ أن تتفضلي بقبول هذا المبلغ الذي يمثل مساهمتي في الاكتتاب المنشود ، لحساب والدتك . انني أرغب بشدة في ألا يذكر اسمي في هذه المناسبة : هناك ... انني شخصيا لا أخلو من مشاغل مادية تجعلني عاجزا عن المساهمة بأكثر من هذا !.

ومد يده اليها بورقة من ذات العشرة روبلات عثني بإظهارها على أحسن ما تسمح به مقاييسها ، فأخذتها سونيا وهي محمرة الوجه خجلا ثم نهضت باندفاع وهي تتمتم بكلمات غير مفهومة وبادرت الى الانسحاب . خرجت من الغرفة وهي شديدة الانفعال منهوكة تقريبا ، وعادت الى حيث كاترين ايفانوفنا وهي فريسة اضطراب خارق .

كان أندريه سيميونوفيتش صامتا خلال هذا المشهد كله ، فلم يتدخل في الحديث بل كان ينتقل بين النافذة وركن الغرفة الآخر . فلما



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

خرجت سونيا اقترب فجأة من بيتروفيتش وهو يمد له يده بحركة اعتيادية :

ـ لقد سمعت كل شيء وشاهدت كل شيء ( وضغط بصورة خاصة على هذه الكلمة ) . انه نبل ، أريد أن أقول انها انسانية منك ! لقد أردت أن تتحاشى الاعتراف بجميلك ، لقد شهدت ذلك ! وعلى الرغم من أنني ـ وأعترف بذلك ـ مخالفا لمبدأ الاحسان الشخصي الذي لا يستأصل المصيبة نهائيا بل يتعهدها الى حين ، فانني لا أستطيع رغم ذلك الا أن أعترف بأنني نظرت الى تصرفك هذا بسرور . نعم ، نعم ، لقد سرني ذلك .

غمغم بيير بيتروفيتش ، وهو ينظر بشيء من الحذر الى ليبيزياتنيكوف :

ـ آه ! ان هذا تافه !

هتف أندريه سيميونوفيتش الباسل ، وهو يشعر باحترام متين تجاه بيير بيتروفيتش :

ـ كلا ، انه ليس تافها ! ان رجلا جرح في كرامته ـ كما كانت حالك أمس أثر تلك الاهانة ـ ثم يهتم بالام سواه ... ان رجلا كهذا جدير بالاحترام رغم ارتكابه خطأ اجتماعيا بهذا التصرف . لم أكن أنتظر ذلك منك ، يا بيير بيتروفيتش ، خصوصا وأنا الذي درست أسلوبك ووجهة نظرك في الحياة ! آه ! كم تزعجك تلك الاساليب ! خذ مثلا ، مبلغ حزنك من أجل مسألة البارحة ! لست أدري لم تتعلق بهذا الزواج هذا التعلق ، وبتلك الرابطة المشروعة ، يا بيير بيتروفيتش شديد الاحترام واللطف . ماذا تهمك تلك « المشروعية » ؟ ؟ هيا ... اضربني اذا شئت ، لكنني سعيد تماما اذ أفكر بأن هذا الأمر لم يتم ،



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وبأنك حر لم تمت بعد تماما ولم تدفن في سبيل الجنس البشري.. أنت ترى بأنني حدثتك بما في نفسي !

أجاب لوجين محاولا الافصاح عن فكرته ، وهو ساهم قلق :

ـ اذا كنت أستمسك بالزواج فذلك لأنني لا أريد أن أحمل « قرونا » في علاقاتكم الحرة ولا أبغي تربية أبناء غيري ...

صخب أندريه سيميونوفيتش كالحصان المدرب تدريبا عسكريا حينما يسمع قرع الطبول :

ـ الاولاد ؟ هل يصير الموت الى الاولاد ؟ ان الاولاد هم ـ كما أوافقك ـ مسألة اجتماعية ذات أهمية قصوى ، لكن مسألة الأولاد ينبغي أن تسوى بشكل آخر . ان بعضهم يمضي في اندفاعه الى درجة انكار الاولاد ، بل وانكار كل تلميح عن الاسرة . سوف نتحدث عن الأولاد فيما بعد . أما الان فلنهتم بقضية « القرون » ! انني أعترف لك بأن هذه هي نقطة الضعف عندي . هذا يا سيدي تعبير بذيء ، تعبير مبتذل ، عزيز على بوشكين ؟ لكن قاموس المستقبل سوف ينبذه ويقصيه ! ما هي اذن هذه « القرون » ؟ يا لها من مغالطة سمجة ! أية قرون ؟ ان كل هذا لا معنى له ! لكن يكون مثله في الارتباط الحر ! ان القرون هي النتيجة الطبيعية للزواج ، انها ـ كما يجوز القول ـ الملين أو الملطف ، أو انها حجة مقامة ، تجعل وجهة النظر هذه خالية من كل ما يهين ... واذا حدث أبدا ـ وهو افتراض مستحيل ـ أن اضطررت الى الزواج بالتقاليد الصحيحة ، فانني سأكون شخصيا مرحبا بحملها ، تلك القرون المخيفة ! سأقول لزوجتي : « حتى الآن يا عزيزتي لم أقطع عن حبك ، أما اليوم فانني أميل اليك لأنك عرفت كيف ترفعي احتجاجا !.. » أتضحك ؟ ذلك لأنك أضعف من أن تستطيع الانقطاع عن التقاليد البالية ! ليحملني الشيطان! أنا أفهم لون التعاسة التي تكون



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

عندما يخدع المرء في زواج شرعي ، لكنه ليس الا النتيجة الحقيرة لتصرف مشين لكلا الجانبين • وعندما تكون القرون مشرعة بشكل صريح ، كما يحدث في المجتمع الحر ، فانها لن تبقى في الوجود ، لن يشعر بها أحد ، وعندئذ ستفقد تسميتها : القرون ! بل ان زوجتك على العكس ستريك فقط مبلغ ميلها اليك عندما تؤمن بأنك عاجز عن التصدي لهنائها ومتقدم تقدما كافيا يجعلك لا تنتقم من علاقاتها مع زوجها الجديد • ليحملني الشيطان ، انني أفكر أحيانا في أنني لو تزوجت ( بشكل حر أو بشكل مشروع ، سيان عندي ) لوجدت في نفسي الاستعداد لادخال عشيق زوجتي الى مخدعها بنفسي اذا تأخرت هي عن ايجاد مثل ذلك العشيق ! كنت سأقول لها: يا عزيزتي، انني أحبك وأريد فوق ذلك أن تقدريني ، بل وانني « أصرّ على ذلك ! » • ألست على صواب ؟••

ضحك بيير بيتروفيتش بشيء من الفتور • فقد كان يصغي بأذن ساهمة الى ذلك الخطاب • كان يبدو مشغولا بشيء آخر حتى أن ليبيزياتنيكوف نفسه لم يلبث أن خمن ذلك • كان بيير بيتروفيتش في حالة اضطراب ، فقد كان يفرك يديه ويفكر باستغراق •

لقد تذكر أندريه سيميونوفيتش كل هذه الملاحظات فيما بعد ، عندما فكر في الموضوع••



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

## ٢

من الصعب تحديد الاسباب التي خلفت في عقـــل كاترين ايفانوفنا المشوش تلك الفكرة الغريبة المتعلقة بالطعام الذي أعدته • لقد اضطرت من أجله الى انفـاق أكثر من عشرة روبـلات من أصل العشرين التي منحها اياها راسكولنيكوف للانفاق على تكاليف المأتم والدفن • لعـل كاترين ايفانوفنا كانت تحسب أنها مرغمـة ــ حيال المرحوم ــ عـلى تمجيد ذكره « كما ينبغي » ، كي يعرف المستأجرون وعلى الاخص أميلي ايفانوفنا بأنه لم يكن أقل شأنا منهم ، بل ليعرفوا بأنه كان أرفع شأنـا منهم وأن أيا منهم لا يحق له أن « يحوقل » كلما فكر فيـه أو أن يقلب شفتيه ازدراء • لعلها أيضا استسلمت « لكبرياء الفقراء » التي تدفـع كثيرا من التعساء ــ في مناسبات معينة يصعب التخلص منها ــ الى بذل كل قواهم وانفاق آخر فلس معهم كي يظهروا في مظهر الآخرين • لذلك فانه ينتظر جدا أن تكون كاترين ايفانوفنا قد أرادت ــ في تلك المناسبة حيث بدا وكأن الناس كلهم انفضوا من حولهـا ــ ان تثبت لأولئـك « المستأجرين المشردين » بأنها لم تكن « تعرف معنى الحيـاة وتحسن الاستقبال » فحسب ، بل أنها كذلك قد نشأت وعاشت من أجـل لون آخر من الحياة وفي « بيت عريق بل وارستقراطي بمنزل زعيم » أيضا ، وأنها لم تكن مهيأة أبدا لكنس الارض و

CVISION TECHNOLOGIES

ان مثل تلك النفحات من العظمة والغرور تصيب أحيانا أكثر الناس حتى أنه ليندر أن تنقلب تلك النفحات في بعض الاحيان الى نوع مـن الاحتياج الصحيح الذي لا يمكن كبته والصمود لاغرائـــه • غير أن كاترين ايفانوفنا لم تكن تسمح لنفسها أن تتهدم • كان يمكن أن تخدع



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

أحيانا خداعا قويا ، لكنها لم تكن تتقبل مطلقا أن تنهار معنويا • وعلى ذلك فان رأي سونيا لم يكن قائما على أساس متين عندما صرحت بأن عقل أمها كان مضطربا مختلا لأنه ــ في الحقيقة ــ لم يكن أمرا واقعا ايجابيا بل انه منذ بعض الوقت ــ عام على الارجح ــ تعرض عقلها المسكين لعدد من التجارب القاسية والمحن يصعب بعدها النجاة منها دون خسارة • وكان السل التي ينخر رئتيها ــ على ادعاء الاطباء ــ يسهل كثيرا اختلال القوى الفكرية •

كانت الانبذة لا كثيرة ولا متعددة الاصناف ، ولم يكن هناك نبيذ ماديرا ، لقد كان ذلك القول مبالغا فيه • كان على المائدة نبيذ وعرق وروم وبورتو ، من أنواع رديئة جدا ولكن بكمية متوفرة ، وكان الطعام يتألف ــ الى جانب حلوى الأرز التقليدية ــ من نوعين أو ثلاثة أنواع أخرى ، بينها « القطائر » ، وكانت تلك الاطعمة قد جهزت كلها وطهيت في مطبخ أميلي ايفانوفنا، أضف الى ذلك سماوران أعدا لأولئك الذين يرغبون في شرب الشاي أو « التشيفة » بعد الطعام • كانت كاترين ايفانوفنا قد اهتمت بنفسها بشراء لوازمها يساعدها صعلوك بولوني كان يقطن ــ والله أعلم بالسبب ــ لدى السيد ليبيوشسل ، وضع نفسه للوهلة الاولى تحت تصرفها وراح طيلة يوم أمس وصباح اليوم التالي يجري في كل مكان ينقل الخبر حتى ليقال انه كان يعمل على جذب انتباه خاص الى هذه المناسبة الأخيرة • كان في كل لحظة ــ ولأتفه الاسباب ــ يندفع قرب كاترين ايفانوفنا بل ويتبعها حتى السوق ويكثر انحناءاته واظهار اعتباره حتى أنهكها وبرمت به كما لم تبرم بأحد من قبل الا نادرا ، رغم أنها صرحت بادىء الأمر أنها لولا ذلك الرجل الصدوق الشهم لناهت في أمر نفسها •

كان من عقلية كاترين ايفانوفنا أن ترسم لنفسها صورة أول من



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تصادفه بأزهى الالوان وأبدعها ، وأن تغطيه بالمديح الى درجة تجعله مرتبكا خجلا من نفسه ، وأن تضفي عليه من المزايا التي ليست موجودة في شخصه ثم تؤمن ــ أول الناس ــ بتلك الصورة التي رسمتها ايمانا مخلصا • غير أن كل هذا لم يكن يمنعها من أن تمقت ذلك الشخص فجأة ، وأن تشتم ذلك الذي غمرته منذ ساعات بالورود ، وأن تلقي به الى الباب ! لقد حبتها الطبيعة عقلية هادئة أنيسه ومتفائلة • لكن كثرة المصائب وتكرار الاخفاق الذي منيت به جعلتها ترغب بخشونة بل «تتطلب » أن يعيش كل الناس في سلام وسرور ، وأن لا يتقبل أي كان العيش على غير هذا النمط حتى أن أي شذوذ مهما بلغت تفاهته أو أي اخفاق كان يخرجها عن طورها فورا ، وينتشلها بعنف من لحظاتها السعيدة التي تهدهد خلالها في نفسها أعذب الامنيات والآمال ، وألمع التخيلات والاوهام ، مستسلمة لمصيرها ، فتقذف حولها بكل ما يصل الى يدها بل تضرب الجدار برأسها •

اكتسبت أميلي ايفانوفنا ــ هي الاخرى ــ اعتبارا خارقا في عيني كاترين ايفانوفنا ، وراح تقديرها لها يتعاظم فجأة ولعله بسبب اقامة تلك الوليمة التي تطوعت اميلي ايفانوفنا بملء رضاها للمساهمة في اعداد اللوازم والاستعدادات الاولية لها : فقد تعهدت بترتيب المائدة ، وتقديم الاغطية اللازمة والاواني الخ ••• وأن تطهي الطعام على موقدها • فلما ذهبت كاترين ايفانوفنا الى المدفن ، خولتها كل السلطات وتركتها تتصرف على هواها • وقد أجادت اميلي ايفانوفنا في تنفيذ مهمتها : فالمائدة كانت معدة بنظافة كافية ، والاطباق والملاعق والسكاكين والاقداح الكبيرة والصغيرة الخ ••• كلها كانت ــ رغم تباين أنواعها وأشكالها نظرا لانها استحضرت من لدن عديد من المستأجرين ــ في الساعة المعينة في أماكنها على المائدة • لذلك كانت اميلي ايفانوفنا ــ



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وهي التي كانت واثقة من اجادتها مهمتها اجأدة مرموقة ــ تستقبل المدعوين العائدين من المدفن بشيء من العظمة ، وقد استعدت لذلك الاستقبال فارتدت ثوبا أسود تدلت عليه شرائط جديدة كانت ملفوفة على الغطاء الرقيق الذي حجبت به شعرها بعد أن أعدته اعدادا مبالغا فيه • ولقد استاءت كاترين ايفانوفنا من تلك الكبرياء ــ رغم أنها في محلها ــ لسبب أو لآخر : « لعلها تظن أننا ما كنا نستطيع اعداد المائدة لولا اميلي ايفانوفنا ! » كذلك كان غطاء رأسها الجديد كل الجدة ذو الشرائط المتدلية على ثوبها يزعج كاترين ايفانوفنا ولا يعجبها: « لعلها ستعمل على ابداء ترددها ، تلك الالمانية الحمقاء ! هي ــ السيدة ــ تلطفت وتنازلت لمساعدة مستأجرين فقراء ! لمجرد الاشفاق ! هل ترى هذا عند أبي كاترين ايفانوفنا الذي كان زعيما وحاكما تقريبا كانت تقام حفلات لأربعين شخصا أحيانا ، حتى أن واحدة كأميلي ايفانوفنا ، أو على الأصح لودويكوفنا ، ما كانت لتقبل حتى في المطبخ !••• » غير أن كاترين ايفانوفنا قررت عدم ابداء شعورها في الحال ، رغم انها كانت مقررة في نفسها بأن تعاد اميلي ايفانوفنا اليوم بالذات الى موضعها ، والا فان الله وحده يعلم ماذا ستتخيل بعد ذلك ! على هذا فان كاترين ايفانوفنا استنادا الى قوة هذه الفكرة اكتفت باظهار برودها مؤقتا •

كذلك فقد ساهمت مناسبة مزعجة أخرى في استفزاز استيائها : ذلك أن من بين كل المستأجرين المدعوين الى المائدة لم يحضر أحد ــ تقريبا ــ عند تشييع الجثمان • باستثناء البولوني الذي استطاع أن يواكب الجثمان حتى المقبرة ، وفي المقابل ــ عندما أصبح الأمر متعلقا بالطعام



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لم يتخلف أشدهم فقرا وأكثرهم تفاهة عن الحضور ! بل ان بعضهم جاء بألبسة غير مناسبة أبدا وبالاختصار كان الحاضرون « عديمي الأهمية » . أما المستأجرون الارفع مقاما ، أولئك المتفوقون ، فكأنهم تعاهدوا بينهم على عدم الحضور . مثلا : أن بيير بيتروفيتش لوجين الذي يمكن اعتباره أكثر المرموقين في البناء كله ، لم يحضر رغم أن مساء البارحة فقط كانت كاترين ايفانوفنا تذيع في كل مكان وأمام كل الناس ـ أي أمام اميلي ايفانوفنا وبوليا وسونيا والبولوني ـ أنه رجل نبيل جدا من أكثر الرجال شهامة ، كثير العلاقات مع المتنفذين وشديد الغنى ، وأنه بوصفه صديق زوجها الأول وفي عداد الذين كانوا يستقبلون في منزل أبيها من قبل ، فقد وعد بالعمل فورا لتأمين مرتب هام لها . ويجدر الذكر بهذه المناسبة أن كاترين ايفانوفنا كانت عندما تتبجح بشيء ما ، سواء أكان بصدد علاقات أو ثروة ، فانها كانت تفعل ذلك دون أي مقصد أو غاية شخصية . بل لمجرد فيض السخاء ـ اذا صح هذا القول ، أو لمجرد الرغبة في الامتداح واعطاء قيمة أعلى لموضوع امتداحها ! وجاء في المرتبه الثانية بعد بيير بيتروفيتش ، « تبعا لتصرفه » ، ذلك الخليع المنحط ليبيزياتنيكوف الذي لم يحضر كذلك ! ماذا يفكر هذا في نفسه ؟ انه لم يدع الا على سبيل الاحسان ، مما جعل دعوته أمرا الزاميا . كذلك لم تحضر سيدة عصرية وابنتها ولأنه وبيير بيتروفيتش كانا يقطنان في غرفة واحدة ، وهما متعارفان كانتا تعطفان منذ خمسة عشر يوما لدى أميلي ايفانوفنا ، دعتهما ، رغم أنهما خلال تلك المدة القصيرة أبدتا عددا من الملاحظات بخصوص الضوضاء والصخب والصيحات التي تنبعث من غرفة آل مارميلادوف . لا شك أن تلك الملاحظات بلغت مسامع كاترين ايفانوفنا خلال المشاجرة التي وقعت بينها وبين صاحبة المسكن في المدة الأخيرة ، تلك المشاجرة التي هددتها صاحبة المسكن خلالها بطردها مع كل أفراد الاسرة ، وهي



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تزمجر بـأغلى صوتها بأنهـا تزعج « المستأجرين ذوي الحيثية وهي لا تصل الى مرتبة أقدامهم » • لذلك قررت كاترين ايفانوفنا دعوة تلـك السيدة وابنتها اللتين قيل لها « انهـا لا تصل الى مرتبة أقدامهما » ، خصوصا وأنهما كانتا كلما التقتا بها صدفة ، أشاحتا بوجههما عنهـا بشيء من الاحتقار • لسوف تجعلهما تعرفان « أن النبل يتسامى هنـا الى درجة نسيان السباب والاساءات » ، وستعرفان بأن كاترين ايفانوفنا لم تكن قط مفطورة على هذا اللون من الحياة • كانت مصممة عـلى ايضاح ذلك لهما على المائدة والتحدث اليهما عن « البابا » الحاكم ، بل انها ستجد في تلك المناسبة مجالا لتهمس لهما بأنه لا مجال للاشاحـة بوجههما عنها اذا التقتا بها ، وأن ذلك ليس الا حماقة •

كذلك تخلف نـائب زعيم ضخم ( وهو لم يكن الا رئيسا بسيطا متقاعدا ) بسبب سقوطه هو الآخر وتحطم ذراعه منذ أمس • والخلاصة أن الذين حضروا هم : البولوني وموظف هزيل ، ملتهب الوجه بمرض جلدي ، صموت كالشبوط ، مرتد « فراكا » قذرا تنبعث منه رائحـة مزعجة كريهـة ، ثم عجوز صغير الحجم أصم وأقرب الى العمى ، كان موظفا سابقا في مصلحة البريد • وكان بعضهم يدفـع ـ دون أن يعرف السبب على الضبط ـ أجرة سكنه الى أميلي ايفانوفنا منذ وقت قديم • وقد حضر بعد ذلك ضابط متقاعد ، من ضباط مصلحة المؤن في الجيش كان يقهقه بشكل يتنافى تماما مع قواعـد الحشمة والادب ، وكان « وتصوروا هذا » دون صدارة !

ومضى شخص مباشرة الى المائـدة دون أن يحيي كاترين ايفانوفنا ، ثم جاء آخر بمعطف منزلي لأنه لا يمتلك ثيابا يرتديها • لكن دخـوله على ذلك الشكل جعل كاترين ايفانوفنا تنفجر مـن الغضب ، فكان أن



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

استطاع البولوني بالاستعانة بجهود أميلي ايفانوفنا اخراجه على شكل ما من الغرفة . علاوة على ذلك فان البولوني كان قد أحضر معه زميلين له من مواطنيه لم يكونا قد قطنا من قبل في تلك الدار ، ولم يكن أحد من المستأجرين يعرفهما .

كل هذه المضاعفات والاسباب جعلت كاترين ايفانوفنا تبدو مستاءة أشد الاستياء. «اذن فقد قمنا بكل هذه الاستعدادات من أجل هؤلاء !» كانت قد أعدت للاولاد مائدتهم في احدى الزوايا على صندوق وأجلستهم على مقعد من الخشب سعيا وراء الاحتفاظ بأكبر عدد ممكن من الاماكن حول المائدة التي كانت تشغل أكبر مساحة في الغرفة . وكانت بوليا، وهي الفتاة البكر ، مكلفة بالعناية بأختها وأخيها الاصغر ، تطعمهما وتمسح لهما أنفسهما «كما تمسح أنوف أولاد الاسر المحترمة». خلاصة القول ، ان كاترين ايفانوفنا كانت تستقبل هؤلاء الضيوف بوقار مترفع ، بل وباستخفاف لم يكن لها يد في اظهارهما . وألقت على بعضهم وهي تدعوهم الى المائدة نظرة قاسية بشكل خاص ... قدرت في نفسها أن اميلي ايفانوفنا هي المسؤولة ــ لسبب أو لآخر ــ عن تخلف المدعوتين الممتازتين ، لذلك اتخذت حيالها موقفا وقحا لاحظته هذه فورا وتأثرت منه شديد التأثر . وأخيرا انتظم المدعوون حول المائدة .

دخل راسكولنيكوف في اللحظة التي عاد فيها القوم من المدفن فانشرحت كاترين ايفانوفنا لمجيئه ورؤيته . أولا لأنه كان المثقف الوحيد بين كل المدعوين « الذي ــ كما يعرف كل الناس ــ سيحتل بعد عامين مركز أستاذ بكرسي في الجامعة في بطرسبورغ » ، وثانيا لأنه اعتذر بكل احترام فور وصوله عن عدم استطاعته ــ رغم عظيم رغبته ــ أن يشهد المأتم . فلم تنفصل عنه طيلة الوقت وأجلسته الى يمينها ( وكانت اميلي ايفانوفنا جالسة الى يسارها ) وراحت ــ رغم الاحتياطات المتتابعة التي بذلتها صاحبة الدار ، ورغم السعال المخيفه الذي كان يقاطعها



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

والذي بدا منذ يومين أكثر خطورة عن ذي قبل ــ توجه الحديث اليه وحده وتبثه ــ نصف هامسة ــ كل ما كان يعتلج في قلبها مفضية اليه بسخطها المحق الذي كانت تشعر به بسبب هذا الحفل الفاشل • وكان غيظها ينقلب غالبا الى ضحكة مرحة كانت تعجز عن قمعها على حساب مدعويها وعلى الأخص صاحبة الدار نفسها •

ــ كل ذلك ناتج عن غلطة هذه المكروهة • هل تفهم عمن أتحدث؟ انها هي ••• هذه !

وراحت كاترين ايفانوفنا تشير برأسها الى صاحبة المسكن •

ــ أنظر هذا • انها تحملق بعينيها ، انها تشعر بأنا نتحدث عنها ؛ لكنها لا تستطيع الفهم وتكاد عيناها أن تخرجا من رأسها ! هوه ! بومه حقيقية ! ها ها ها ، هي هي هي ! ثم ماذا تريد أن تثبت لنا بهذا اللباس؟ هي هي هي ! هل لاحظت ! انها تريد ابهام الجميع بأنها تضعني تحت حمايتها وأنها تغمرني بالشرف اذ تجلس الى مائدتي • لقد رجوتها ــ باعتبارها شخصية مناسبة ــ أن تدعو أناسا « كما يجب »، وبصورة خاصة أولئك الذين عرفوا المرحوم • فانظروا ماذا جمعت لي : أشخاصا مشوهي الخلقة وبعض الخدم ! أنظروا الى هذا القذر ••• حقيقة انهم حثالة من الحيوانات ذوات قدمين ! وهذان البولونيان القذران ••• ها ، ها ، ها ، هي ، هي ، ان أحدا لم يرهما من قبل هنا ، وأنا لا أعرفهما لا من آدم ولا من حواء ! لماذا حضرا ، انني أسألك ؟ انهما جالسان بكل جلال الواحد الى جانب الآخر •••

هتفت فجأة تخاطب أحدهما :

ــ اه ! هل تناولت فطائرا ؟ خذ منها ! اشرب جعة ؟ جعة ! هل تريد قدحا من العرق ؟

وعادت تحدث راسكولنيكوف :



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ أنظر ، لقد نهض وحيا ، أنظر ، أنظر ! انهما على ما يبدو جائعان أشد الجوع ، الشيطانان المسكينان ! هنا لأكلا ! انهما على الأقل لا يصخبان ... لكنني والحق يقال خائفة على الأطباق الفضية العائدة لصاحبه المسكن !

هتفت بصوت مرتفع قليلا متحدثه الى صاحبة المسكن :

ـ اميلي ابفانوفنا ، انني أنذرك سلفا أنه اذا فقدت ملاعقك فانني لن أكون مسؤولة ! ها ! ها ! ها !

وهنا ، استولى عليها ضحك جنوني وراحت تحدث راسكولنيكوف وهي تشير برأسها الى صاحبة المسكن :

ـ انها لم تفهم ، انها لم تفهمني هذه المرة أيضا ! انها واقفة هكذا « ومنقارها » مفتوح تدحرج عينيها: انها بومة حقيقية! بتلك «الشوشة» من الاشرطة الجديدة ، ها ! ها ! ها !

لكن تلك الضحكة انقلبت الى سعال عنيف فظيع دام خمس دقائق ، وتلوث منديلها بالدم ، بينما تلألأت حبات من العرق على جبينها . عرضت لطخة الدم على راسكولنيكوف بصمت وهمست له وهي تتنفس بصعوبة فريسة اضطراب خارق عنيف ، وقد اصطبغ خداها بلون قرمزي :

ـ كما ترى ، لقد عهدت اليها بأدق مهمة ـ اذا جاز هذا القول ـ وهي دعوه السيدة وابنتها . انك تدري عمن أتكلم . كان يجب أن تتذرع في مثل هذه المناسبة بلباقة شديدة وبفن ومهارة . لكنها تصرفت بشكل جعل تلك الغريبة الحمقاء ، تلك المخلوقة ، تلك القروية ... لأنها في الواقع ليست الا أرملة ضابط جاءت الى هنا تلتمس جراية ، وتكنس الردهات بذيل ثوبها ، بأنها رغم سنواتها الخمس والخمسين تصبغ وجهها وتتبرج ( والناس يعرفون ) ... ان هذه المخلوقة ليس



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فقط لم تتفضل بالمجيء ، بل انها كذلك لم ترسل حتى ولا كلمة اعتذار كما تتطلب ذلك قواعد الأدب المبدئية . ثم انني لا أستطيع أن أفهم كذلم لِمَ لم يحضر بيير بيتروفيتش ؟ لكن أين سونيا ؟ الى أين ذهبت ؟ آه ! ها هي ذي أخيرا : أين كنت ، يا سونيا ؟ من الغريب ألا تحضري في الوقت المعين في يوم دفن أبيك ! يا روديون رومانوفيتش ، دعها تجلس الى جانبك . هذا هو مكانك يا سونيا . تناولي ما تشائين من الطعام . خذي من السمك المجمد . انه خير الأصناف الموجودة . لسوف نأتي لك بالفطائر . هل أطعمَ الأولاد ؟ بوليا ! هل تناولت كل شيء ؟ هي ، هي ، هي ! هيا هذا أحسن . كوني عاقلة يا لينا ، وأنت يا كوليا لا تحرك ساقيك هكذا . ابق جالسا كطفل صغير من عائلة طيبة . ماذا تقولين ، يا سونيا ؟

بادرت سونيا فورا بنقل اعتذارات بيير بيتروفيتش الى كاترين ايفانوفنا وهي تجهد في رفع صوتها كي يسمع المدعوون ، وكانت تتكلم بعبارات منتقاة ، تلك التي كان بيير بيتروفيتش يصوغها ويستعملها بل وزادت عليها بعض الشيء . أضافت أن بيير بيتروفيتش رجاها بحرارة أن تقول لها بأنه سيحضر حالما يتاح له ذلك ليتحدث اليها على انفراد حديث أعمال ، وليتفاهم معها على الاسلوب الواجب اتباعه بعد ذلك .

كانت سونيا تعرف أن هذا الكلام يطمئن كاترين ايفانوفنا ويرضي غرورها، خصوصا أن كرامتها المتطرفة ستجد فيه عزاء ورضى . جلست قرب راسكولنيكوف بعد أن حيته بعجلة وهي تلقي عليه نظرة سريعة متفحصة . غير أنها كانت تبدو طيلة الوقت وكأنها تتحاشى النظر اليه أو التحدث معه ، بل بدت أيضا ساهمة شاردة الفكر رغم أنها كانت تحدق بعينيها في كاترين ايفانوفنا محاولة التنبؤ برغباتها والاستجابة لها . ولم تكن سونيا ولا كاترين ايفانوفنا مرتديتين ثياب الحداد



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لافتقارهما اليها ، فكانت ترتدي ثوبا رماديا داكنا بينما كانت كاترين ايفانوفنا مرتدية ثوبا من القماش الهندي ذا أقلام بلون داكن أيضا وهو الثوب الوحيد الذي تمتلكه . ولما أبلغت اعتذارات بيير بيتروفيتش بدت شديدة الاغتباط وراحت ــ بعد أن أصغت الى حديث سونيا باهتمام ــ تسأل بلهجة خطيرة عن صحة بيير بيتروفيتش ، وبعدئذ عادت تهمس الى راسكولنيكوف بصوت مرتفع قليلا أنه من الغرابة في مكان أن يندمج رجل يعتبر ذو مركز ممتاز مثل بيير بيتروفيتش في « عصبة شاذة كهذه » ، مهما بلغ من تفانيه نحو الأسرة ، ورغم روابط الصداقة التي كانت تربطه بأبيها . وأضافت بصوت مرتفع تقريبا :

ــ ومن أجل ذلك فانني ممتنة لك بصورة خاصة ، يا روديون رومانوفيتش ، لأنك لم تعزف عن ضيافتي والحضور الى وسط كهذا ! انني مقتنعة الآن بأن صداقتك مع الفقيد [illegible] وحدها التي دفعتك الى التمسك بوعدك .

CVISION TECHNOLOGIES

ثم راحت تسرح طرفها باعتداد واحتقار في المدعوين . وفجأة رفعت صوتها تستفسر من العجوز الاصم الجالس الى الجانب الآخر من المائدة : « أتريد شواء أيضا ؟ هل قدم اليك البورتو ؟ » . فلم يجب العجوز القصير ولبث برهة لا يتوصل الى فهم ما يطلب منه ، حتى أن الجالسين بقربه حاولوا تفسير الطلب بغية الضحك ، فنظر حوله فاغرا فاه الأمر الذي جعل الموجودين يغرقون في الضحك .

تابعت كاترين ايفانوفنا مخاطبة راسكولنيكوف :

ــ انظر الى هذه « المخللة » ، أنظر الى هذا ! لماذا جاؤوا به الى هنا ؟... أما فيما يتعلق ببيير بيتروفيتش فانني كنت دائما واثقة منه .

... وصرخت وهي تلتفت الى أميلي ايفانوفنا تسخطها بنظرة قاسية جعلتها ترتبك فجأة :



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ لا شك أنه لا يشبه هاتين المتكعتين المتبرجتين اللتين ما كانتا لتقبلا عند « بابا » في المطبخ . وما كان الفقيد زوجي ليحترمهما اذا ما استقبلهما بدافع طيبة نفسه العميقة .

هتف فجأة ضابط المؤن القديم الذي كان يبتلع في تلك اللحظة القدح الثاني عشر من أقداح العرق :

ـ نعم ؛ كان يحب الشراب ، آه ! فيما يتعلق بهذا ، كان يحب معانقة الزجاجة .

أجابت كاترين ايفانوفنا ، وهي تكيل له الصاع صاعا :

ـ ان المرحوم زوجي كان ولا شك مصابا بهذا الضعف ؛ وكل الناس يعرفون هذا ، لكنه كان رجلا طيبا ونبيلا وكان يحب ويحترم أسرته وكانت خطيئته الوحيدة أنه كان ميالا ـ بسبب طيبة قلبه ـ الى الاختلاط بكل أنواع الخليعين . والله يعلم عدد من شرب معهم من هؤلاء ! تصور ، يا رودیون رومانوفيتش ، أنه وجد في جيبه ديك صغير من السكر ! لقد كان يفكر في أطفاله رغم أنه كان في حالة من الثمل قريبه من الموت ! ..

صاح ضابط المؤن :

ـ ديك صغير ؟ أقلت : ديك صغير ؟

لم تتنازل كاترين ايفانوفنا فترد عليه ، بل استغرقت في لون من التفكير . وندت عن صدرها زفرة ثم تابعت تخاطب راسكولنيكوف :

ـ لا شك أنك تعتقد ـ ككل الناس ـ أنني كنت قاسية جدا معه . ان ذلك خطأ ! لقد كان يكرمني ، كان يقدرني تقديرا عميقا ! لقد كان روحا طيبة جدا ! كم كنت أشفق عليه أحيانا ! كثيرا ما وقع له أن ظل جالسا في ركن ينظر الي دون انقطاع فكان ذلك يعذبني ! كنت أتوق الى ملاطفته لكنني كنت أحدث نفسي : « اذا بدوت رقيقة فلسوف



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

يعود الى الشراب ». لم يكن يمكن كبح جماحه بعض الشيء الا باللجوء الى القسوة .

قال الضابط السابق بصوت أشبه بالخوار ، وهو يكرع قدحا آخر :

ـ نعم ! لشد ما كانت « تدعك شوشته » ! كثيرا ما حدث ذلك.

أجابت كاترين ايفانوفنا بلهجة حاسمه :

ـ ان بعض السخفاء لا يستحقون أن يجذب شعرهم فقط ، بل أن يطردوا بضربات المكانس . وانني طبعا لا أتحدث عن الفقيد في هذه اللحظة .

كانت اللطختان الحمراوان على خديها قد ازدادتا احمرارا وراح صدرها يعلو وينخفض . لم يكن يوقفها عن اثارة شجار في تلك اللحظة الا قليل من التعقل ! راح بعض المدعوين يتضاحكون من هذا المشهد الذي بدا مستملحا مستظرفا بالنسبة اليهم، وراح بعضهم يحرض ضابط المؤن ويهمس في أذنه . كانوا يصبون الزيت على النار بشكل واضح.

شرح الضابط يقول :

ـ هم ! اسـ ... مـ ... حي ... لي أن أسألك عمن تتكلمين ؟ أقصد بخصوص ماذا ... مجرد استفهام ... لقد قلت منذ قليل ... مع ذلك لا بأس ! ان هذا لا يهم ! أرملة ! أرملة فقيرة ! انني أصفح ... لننس ذلك !

وعاد يفرغ قدحه في جوفه .

كان راسكولنيكوف يصغي بسكون وقد اعتراه شعور بالاشمئزاز . كان يتظاهر بتناول الطعام تأدبا رغم أنه لم يكن قد استهلك شيئا من الاطعمة التي كانت كاترين ايفانوفنا لا تني تملىء طبقه بها : كان يخشى أن يسبب لها صدمة . لبث يحدق في وجه سونيا لكن



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

هذه كانت تزداد اكتئابا وقلقا • كانت تشعر هي الاخرى بأن المأدبة لن تنتهي بهدوء ، فكانت تراقب بوجل انفعال كاترين ايفانوفنا المتزايد • كانت تعرف أنها كانت ــ بين عدد آخر من الاسباب ــ السبب الرئيسي الذي من أجله استنكفت السيدتان الأجنبيتان عن الحضور ورفضتا بكل احتقار دعوة كاترين ايفانوفنا • فقد سمعت من أميلي ايفانوفنا نفسها أن أم الفتاة اعتبرت تلك الدعوة اهانة لها وأنها طرحت السؤال التالي: «كيف أستطيع أن أدع ابنتي تجلس الى جانب هذه المخلوقة؟»! غير أنها كانت تعرف كذلك أن هذه تعتبر الاهانة الموجهة الى سونيا أشد نكرا لو كانت موجهة اليها بالذات أو الى أولادها أو أبيها ، وبالاختصار فان الاهانة الموجهة الى سونيا تعتبر بالنسبة اليها اهانة قاتلة • وكانت سونيا تعرف أن كاترين ايفانوفنا لو عرفت الحقيقة لما هدأت قبل أن : تثري تينك المتسكعتين قيمتهما » ، الخ ••• الخ •••

وأوصل بعضهم الى سونيا ــ وكان الأمر مدبرا ــ طبقا كان عليه قلبان تخترقهما نبلة صنعا من لباب الخبز • فغدا وجه كاترين ايفانوفنا أحمر أرجوانيا من الغضب • وأعلنت بصوت مرتفع عبر المائدة أن من فعل ذلك هو : « ثمل كالأتان » •

كانت أميلي ايفانوفنا هي الاخرى تشعر بسوء المنقلب ، وكانت منزعجة انزعاجا عميقا من لهجة كاترين ايفانوفنا المزدرية فراحت فجأة ــ وكأنها تتعمد تلطيف الجو وتخفيف حدة التوتر وتتوخى الظهور أمام المدعوين ــ تقص أن واحدا من معارفها يدعى كارل هو مساعد الصبدلي كان ذاهبا ذات ليلة في احدى العربات ، وكان السائق يريد القضاء عليه • فراح كارل يرجوه جدا جدا أن لا يقتله وكان يبكي ضاماً يديه وكان خائفا • ولشدة رعبه انفجر قلبه ! » فصرخت كاترين ايفانوفنا ــ وهي تبتسم ــ بأن أميلي ايفانوفنا لم ينقصها الذوق لتسرد



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

حكايات روسية ، فازداد انزعاج هذه وأجابت بأن « أباها الذي في برلين كان رجلا هاما جدا جدا وكان يمشي واضعا يديه في الجيوب ... » ولم تستطع كاترين ايفانوفنا الساخرة أن تتمالك نفسها فانطلقت بضحكة مجنونة عنيفة جعلت أميلي ايفانوفنا تفقد الصبر وتكاد أن تنفجر .

تمتمت كاترين ايفانوفنا مجددا في شيء من الانشراح :

ـ آه ! يا للدجاجة الهندية ! كانت تريد أن تقول : « يمشي واضعا يديه في جيبيه » ، بينما تجعل المرء يعتقد بأنه كان يضع يديه في جيوب غيره ، هي ! هي ! هي ! هل لاحظت يا روديون رومانوفيتش أن كل الغرباء الذين يعيشون في بطرسبورغ ـ وخصوصا الألمان منهم الذين يتغلغلون عندنا في كل مكان ـ كلهم أكثر سخفا وحماقة منا ! هيا ألا توافق ؟ هل يعبر الانسان عن رأيه بهذا الشكل ؟ أما ذلك الصيدلي ، كارل ، فكيف ترى ذلك الأبله الذي بدلا من أن يوثق السائق : « يضم يديه وينخرط في البكاء » . يا للدجاجة الروسية ! وهي تعتقد أن قصتها مسلية جدا ولا تعتقد لحظة أنها حمقاء ! في رأيي أن هذا الضابط السكير أشد دكاء منها فهو على الأقل يبدو بوضوح أنه في « كروم الرب » ، وأنه أودع عقله في أعماق كأسه بينما يتصنع البافون الجد والوقار ... أنظر اليها كيف تدير عينيها ... انها تغضب ... ها ! ها ! ها ! هي ! هي ! هي !

بعد أن أعربت كاترين ايفانوفنا عن ابتهاجها بهذا الشكل انهمكت في تقديم طائفة من التفاصيل ، وأعلنت آخرا أنها بفضل الجراية التي ستحصل عليها سوف تفتتح مدرسة للبنات في مدينة « ت ... » حيث مسقط رأسها . ولم تكن حتى تلك اللحظة قد أخبرت راسكولنيكوف بشيء عن هذا المشروع لذلك راحت تصف حياتها المقبلة الجديدة بكثير من الايضاح والتفصيل والتنميق والتزويق .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وفجأة ظهرت في يدها ـ وليس يُعرف كيف ـ تلك الشهادة العتيدة التي كان مارملادوف المتوفي قد تحدث عنها الى راسكولنيكوف عندما كان يفسر له ، ابان لقائهما في الحانة ، أن امرأته كاترين ايفانوفنا كانت عند تخرجها من المعهد قد رقصت رقصة الشال « بحضور الحاكم وعدد من شخصيات المقاطعة » . وكان « الدبلوم » موضوع البحث يقوم ولا شك مقام شهادة تثبت أن لكاترين ايفانوفنا الحق في افتتاح مدرسة . لكنها ما أبرزته الا بغية افحام تينك المتسكعتين فيما لو قبلتا الدعوة لتثبت لهما بشكل نير أن كاترين ايفانوفنا كانت من عائلة نبيلة ، « بل وبمكن القول أنها أرستقراطية ، ابنة زعيم ، وانها كانت على ذلك تساوي أكثر من الباحثات عن المغامرات اللواتي راح عددهن يزداد زيادة مدهشة في الأيام الأخيرة » .

طافت تلك الشهاده على المدعوين السكارى دون أن تعترض كاترين ايفانوفنا على وقوعها بين أيديهم ، لأنه كان مكتوبا عليها بحروف واضحه أنها كانت حقيقة ابنة مستشار قضائي منعم عليه بوسام ، الأمر الذي يجعلها ابنة زعيم أو شيء من هذا القبيل . وبعد أن أرضت كاترين ايفانوفنا غرورها راحت على الفور تتبسط في تفاصيل الحياة البديعة جدا والهادئة التي ستحياها يوما في مدينة « ت ... » لسوف تطلب الى أساتذة الثانويات أن يعطوا دروسا في معهدها . انها تعرف هناك عجوزا محترما يدعى السيد « مانغو » قد علمها من قبل اللغة الفرنسية، وهو يقضي أيامه الأخيرة في مدينة « ت ... » ولسوف يتفق معها على الأجر ! ثم تحدثت عن سونا « التي ستذهب هي الأخرى الى ت ... » مع كاترين ايفانوفنا والتي ستصبح هناك « مساعدة ثمينة » .

فلما بلغت هذا الحد من كلامها سُمع بعضهم من طرف المائدة الأقصى يحاول خنق ضحكة انبعثت من حنجرته . غير أن كاترين



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ايفانوفنا تظاهرت بعدم السماع ورفعت صوتها لتعدد فورا ميزات صوفي سيميونوفنا التي لا تقدر ولا يتطرق اليها الشك ! وأضافت بأن هذه جديرة بأن تصبح شريكة لها « لأنها هادئة وصبور ومخلصة ولها عواطف نبيلة وثقافة جيدة » . ثم راحت تربت على خدي سونيا ، وعانقتها بحرارة مرتين فاحمر وجه سونيا ! وعندئذ انفجرت الدموع من عيني كاترين ايفانوفنا وراحت تصرح « بأنها نفسها مخلوقة مسكينة حمقاء ضعيفة الأعصاب ، لم تعد تطيق الاحتمال ، وأن الطعام قد انتهى وأن الوقت قد أزف لتقديم الشاي » . وفي تلك اللحظة حاولت أميلي ايفانوفنا ــ التي كانت تبدو شديدة الاستياء لأنها لم تستطع المساهمة في الحديث ولأن أحدا لم يكن يصغي اليها ــ محاولة يائسة وهي تخفي حنقها ، وسمحت لنفسها بأن توجه الى كاترين ايفانوفنا ملاحظة عميقة وصائبة : تتعلق بوجوب انتباه خاص الى ألبسة الفتيات الداخليات في معهدها ، وأنه ينبغي السهر على منع الفتيات الشابات من قراءة الروايات سراً أثناء الليل ، وايجاد سيدة مناسبة لتهتم بألبسة الفتيات الداخلية . غير أن كاترين ايفانوفنا التي كانت متوترة الأعصاب تماما وشديدة الاعياء الى جانب المضايقات التي كانت تلك الوليمة تحدثها لها، «أغلقت فم» أميلي ايفانوفنا قائلة لها انها تثرثر بحماقات ــ : لأن العناية بالألبسة الداخلية من اختصاص الخازنة وليس مديرة المعهد . أما قراءة الروايات فان ملاحظة كهذه تكاد أن تمس ناحية اللياقة ورجتها أن تصمت . فاحمر وجه أميلي ايفانوفنا من الحنق وأفهمتها بأنها لم تكن تقصد الا الخير ، وانها كانت تريد « كثيرا جدا من الخير » ، وأن أجرة مسكنها لم تدفع اليها منذ زمن بعيد . فأجلستها كاترين ايفانوفنا وقالت بأنها تكذب عندما تدعي بأنها تريد لها الخير ، خصوصا وأنها أمس أيضا ، بينما كان المرحوم لا زال مسجى على الطاولة ، جاءت تزعجها بصدد الأجر . عندها أفهمتها أميلي ايفانوفنا بكثير من التعمد « بأنها دعت



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تينك السيدتين ، لكن تينك السيدتين لم تحضرا لأن تينك السيدتين كانتا سيدتين كما يجب لا تستطيعان المجيء عند سيدة ليست كما يجب» • فبادرت كاترين ايفانوفنا بالمثل « تبرر » بأنها باعتبارها متشردة عديمة الاعتبار فانها لا تملك المؤهلات التي تسمح لها بالحكم على معنى كلمة « ان يكون المرء من عائلة طيبة » • فخرجت أميلي ايفانوفنا عن وقارها وأعلنت على الفور ان « أباها الذي في برلين كان رجلا هاما جدا جدا، وأنه كان يمشي دائما ويداه « الاثنتان » في الجيوب ، وأنه كان يعمل دائما : بوف ! بوف ! » ولكي تعطي صورة حيه أكثر دقة عن « أبيها » نهضت أميلي ايفانوفنا وحشرت يديها في جيبيها ونفخت خديها وراحت تخرج من فمها أصواتا واضحة تشبه بوف ! بوف ! فانفجر المستأجرون ضاحكين وراحوا بتأييدهم يثيرون أميلي ايفانوفنا آملين في اثارة معركة « تجاذب شعر » بينهما !

كانت كاترين ايفانوفنا في أقصى درجات الغليان فأعلنت بصوت مرتفع ليسمع كل الموجودين ، أن أميلي ايفانوفنا قد لا تكون عرفت أباهـــا مطلقا ، وأنها لم تكن الا من « أطراف » بطرسبورغ ، احدى المرتزقات التي كانت تشتغل من قبل طاهية أو أحقر من هذا عملا • فغدت أميلي ايفانوفنا حمراء كالسرطان وراحت تزمجر : « ان كاترين ايفانوفنـــا هي التي يمكن أن تكون بلا أب أما هي فان أباهـــا كان في برلين • وكان يلبس ردنجوتا طويلا ويعمل دائمـــا بوف ! بوف ! بوف ! » وأجابت كاترين ايفانوفنا بلهجة ازدراء بأن حسبها ونسبها معروفان من كل الناس وأنه حتى في دبلوم الشرف هذا قد ذكر بأحرف مطبوعة أنها ابنة زعيم • أما أبو أميلي ايفانوفنا ــ اذا افترض وكان لها أب ــ فانه لا يمكن أن يكون أكثر من أحد رعاع بطرسبورغ ، بائع حليب مثلا • لكن بحسب الظواهر كلها فانها لا يمكن أن يكون لها أب طالمـــا أنه لا يعرف حتى الآن اذا كان اسم إسرتها ايفانوفنا أو لودويكوفنـــا • فانفجرت أميلي



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ايفانوفنا غضبا وضربت المائدة بقبضة يدها وراحت تزعق بصوت كالنباح قائلة ان اسمها هو أميلي ايفانوفنا وليس لودويكوفنا ، وأن أباها كان اسمه جوهان وأنه كان « شيخ بلد » . بينما لم يكن أبو كاترين ايفانوفنا في مثل هذا المركز . وهنا نهضت كاترين ايفانوفنا وأعلنت بصوت قاس لكنه شديد الوقار في ظاهره ـ رغم شحوبها وأنفاسها المبهورة ـ أنه اذا سمحت أميلي ايفانوفنا لنفسها ولو مرة واحدة في أن تضع «باباها» هي، كاترين ايفانوفنا . فانها ستنزع غطاء رأسها وستطؤه بأقدامها ». فلما سمعت أميلي ايفانوفنا هذه الكلمات راحت تجري في الغرفة بكل قواها مؤكدة أنها هي صاحبة المكان وأن كاترين ايفانوفنا « ينبغي أن تخلي المسكن على الفور » ! واندفعت بعدئذ الى المائدة لتأخذ عنها الملاعق الفضية ! وحدث صخب فظيع وانفجر الاطفال بالبكاء وكادت سونيا أن تندفع لتستوقف كاترين ايفانوفنا لكن أميلي ايفانوفنا كانت قد تفوهت بكلمات تلمح الى « البطاقة الصفراء » . وعندئذ جن جنون كاترين ايفانوفنا فدفعت سونيا وألقت بنفسها على صاحبة المسكن لتنفذ على الفور تهديدها المتعلق بكساء الرأس .

في تلك الاثناء فتح الباب وظهر على عتبته فجأة بيير بيتروفيتش لوجين توقف برهة وسرح الطرف بين الجمع الحاشد وفي عينيه نظرة قاسية متفحصة . رأته كاترين ايفانوفنا فاندفعت اليه .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

## ٣

هتفت :

ـ يا بيير بيتروفيتش ! تعال أنت على الأقل الى نجدتنا ! آسمع هذه المخلوقة بأنه لا يحق لها أن تتحدث بمثل هذه اللهجة الى سيدة من أسرة طيبة سقطت في البؤس ، وأن هناك قضاة من أجل هذا القول...لسوف أشكو الى الحاكم العام بنفسه ... ولسوف تسأل هذا...احم الابتام اكراما لذكرى الضيافة وعلاقاتك بأبي .

قال بيير بيتروفيتش ، وهو ينحيها باشارة من يده :

ـ اسمحي ، يا سيدتي ... اسمحي ؛ اسمحي بـا سيدتي ؛ انني لم أتشرف أبدا ـ وأنت تعرفين ذلك جيدا ـ بمعرفة أبيـك ... اسمحي يا سيدتي ( وهنا انفجر أحد الموجودين ضاحكا ) . أمـا فيما يتعلق بمشاجراتك التي لا تنتهي مع أميلي ايفانوفنا فانني لست على استعداد مطلقا للتدخل فيها ... لقد جئت الى هنا بصدد مسألة خاصة...وانني أرغب بالحصول على تفاهم فوري مع ابنة زوجك صوفي ايفانوفنـا ، أليس هذا هو اسمها ؟ اسمحي لي بالدخول ...

وتوجه بيير بيتروفيتش الى الطرف الآخر من الغرفـة حيث كانت سونيا بعد أن أعرض عن كاترين ايفانوفنا ...

لبثت كاترين ايفانوفنا جامدة في مكانها وكأن صاعقة انقضت عليها . مـا كانت تستطيـع ان تفهم كيف سمح بيير بيتروفيتش لنفسه لنكران ضيافة أبيها ؛ لأنها منذ أن تصورت تلك الضيافة آمنت بها بنفسها ايمانها بالعقيدة المقدسة . ثم ان لهجة لوجين ؛ تلك اللهجة الجافة النابية التي



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تفيض احتقارا وتهديدا ، قد ضاعفت ذهولها . ولما كان رجل الاعمال الخطير ذاك أرفع مستوى من المجتمعين فانه كان واضحا أنه ما جاء الا لسبب هام ! سبب خارق أتي به الى ذلك الوسط وبالتالي فان حادثا ما لن يلبث أن يقع ! وكان راسكولنيكوف بالقرب من سونيا فاضطر الى التنحي ليسمح له بالمرور، فبدا بيير بيتروفيتش كأنه لم يلاحظ وجوده وبعد برهة شوهد ليبيزيا تنيكوف على عتبة الغرفة لكنه لم يدخل اليها بل ظل واقفا وفي عينيه نظرة استطلاع غريبة يرى ويسمع باستغراب ولا يبدو عليه أنه قد أدرك سبب ذلك المشهد .

صرح بيير بيتروفيتش بشكل عام دون أن يوجه حديثه الى شخص معين :

ـ أعذروني اذا أزعجتكم ، ولكن القضية خطيرة وانني لسعيد اذ أكشف عنها بشكل علني . يا أميلي ايفانوفنا ، انني أرجوك بكل خضوع بصفتك صاحبة هذا المسكن ، أن تصغي بانتباه الى الحديث الذي سأتبادله مع صوفي سيميونوفنا !

وأضاف موجها حديثه الى سونيا التي كانت مشدوهة ترتعد سلفا :

ـ يا صوفي سيميونوفنا ! بعد مغادرتك منذ قليل غرفة صديقي ، اختفت ورقة نقدية من ذات المائة روبل كانت موضوعة على المنضدة ، فاذا كنت تعرفين بشكل من الاشكال مصير تلك الورقة وتحدثيننا عنها فانني أعطيك كلمتي وأشهد كل هؤلاء الموجودين على أن أدع القضية تنتهي هنا ، والا فانني سأضطر الى اللجوء الى تدابير خطيرة . وعندئذ تكونين قد تسببت لنفسك بالمتاعب .

ران سكون عميق على الغرفة . حتى الاطفال الذين كانوا ينتحبون صمتوا واجمين . كانت سونيا واقفة شاحبة كالاموات تنظر دون أن تستطيع جوابا . كانت تبدو غير فاهمة لحقيقة الامر . وانقضت بضع



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ثوان ...

سأل لوجين ، وهو يحدجها ببصره :

ـ اذن ، ماذا تقولين ؟

غمغمت سونيا بصوت ضعيف :

ـ لست أدري ... لا أعرف شيئا .

قال لوجين :

ـ كلا ؟ لا تعرفين شيئا ؟

وصمت برهة ثم أردف بصوت قاس :

ـ فكري جيدا يا آنسة ! ابحثي ، انني أمنحك الوقت للتفكير . اعلمي انني لو لم أكن على ثقة تامة وأنا ـ بالطبع ـ كثير التجارب ، لما وجهت اليك تهمة مباشرة ، لأن مثل هذه التهمة الموجهة علنا ومباشرة اذا ثبت خطؤها ستجعلني مسؤولا عنها . انني لست أجهل هذا . هذا الصباح بالذات استبدلت لحاجاتي الشخصية بعض الاسهم بمبلغ نقدي قدره ثلاثة آلاف روبل ، ذلك هو الرقم المسجل في مفكرتي . وعندما عدت الى غرفتي ـ ويشهد على ذلك أندريه سيميونوفيتش ـ رحت أحصي نقودي من جديد فعددت ألفين وثلاثمائة روبل وضعتها في حافظة أودعتها جيب « رودنجوتي » الجانبي ، وبقي على الطاولة حوالي خمسمائة روبل أوراقا مصرفية بينها ثلاث أوراق من ذوات المائة روبل . وفي تلك اللحظة دخلت أنت ـ بناء على دعوتي ـ وكنت خلال الوقت الذي قضيته عندي بادية الاضطراب والارتباك . بل انك خلال حديثنا قمت ثلاث مرات تحاولين الخروج دون سبب معين [illegible] لم يكن قد انتهى بعد . ان أندريه سيميونوفيتش يستطيع أن يؤيد هذا القول . ولا شك أنك يا آنسة لن ترفضي التصريح بأنني استدعيتك بواسطة أندريه سيميونوفيتش لكي أتباحث معك ـ



CVISION TECHNOLOGIES
PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

فقط ــ بصدد مركز قريبتك كاترين ايفانوفنا المحزن ــ التي ما كنت أستطيع تناول طعام الغداء عندها ــ بغية ايجاد الوسائل الكمينة بامدادها بالمساعدة سواء أكان ذلك باعداد قائمة باكتتاب أو باقامة « يانصيب » أوأي شيء آخر من هذا القبيل . ولقد شكرتني والدموع ملء عينيك (انني أسرد الاشياء كما وقعت تماما : أولا لأذكرك بها وثانيا لأثبت لك بأن أية ملاحظة لم تغب عن ذاكرتي ) . وأخيرا أخذت ورقة من ذات العشرة روبلات كانت في عداد الاوراق الاخرى على المائدة فأعطيتها لك باسمي لأثبت لك اهتمامي بأسرتك معلنا أنني اول متقدم للمساعدة . وقد شاهد أندريه سيميونوفيتش كل هذا . ثم شيعك حتى الباب وأنت في حالة الاضطراب والارتباك التي بدت عليك من قبل . وبعد ذهابك لبثت وحدي مع أندريه سيميونوفيتش فاستغرقت معه في حديث دام خمس دقائق . ثم خرج اندريه سيميونوفيتش فرجعت الى المنضدة مزعما ــ بناء على تصميم سابق ــ وضع بقية النقود على حدة . ولشدة استغرابي ودهشتي لاحظت أن ورقة من ذات المائة روبل فقدت من المبلغ . والآن كوني قاضيا : هل أتهم آندريه سيميونوفيتش ؟ انني لا أستطيع، بل انني لأخجل من مجرد ذلك الاحتمال . كما أنني لا يمكن أن أكون مخطئا في حساباتي خصوصا وأنني قبل قدومك بدقيقة واحدة عددت وأحصيت مجموع المبلغ فوجدته كاملا . وانك لتوافقيني بنفسك على أنني عندما تذكرت اضطرابك وتهافتك على الخروج وانك كنت خلال لحظات طويلة واضعة يديك على المنضدة ؛ ثم عندما تأملت وصفك الاجتماعي والعادات التي ترافقه ، روعت رغما عني عندما اضطررت الى تقبل مثل هذا الشك القاسي . لكن الدوافع اليه سليمة منطقية . وانني أضيف وأكرر أنني رغم وثوقي الأكيد فانني أفهم أيضا أن اتهامي الحالي لا يخلو من بعض المخاطرة ، لكنني كما ترين لم أتردد دقيقة واحدة بل انني ثرت ، ولسوف أقول لك لماذا : لقد ثرت يا آنسة بسبب جحودك الفظيع !.. كيف لا ؟ أأدعوك الى بغية مساعدة قريبتك المسكينة



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

وأمنحك لهذه الغاية عشرة روبلات فألقي منك هـذا الشكر المعجب ؟ كلا ! ان هذا ولا شك غير مقبول . ينبغي أن تتلقي درسا . فكري ! انني أتوسل اليك باعتباري أحسن صديق لك ( لأنه لا يمكن أن يكون لك في هـذه اللحظة صديق خير مني ) أن تعترفي بنفسك والا فانني سأكون قاسيا ! والآن هل تعترفين ؟

تمتمت سونيا مذهولة :

ـ انني لم آخذ لك شيئا . لقد أعطيتني عشرة روبلات ، ها هي ذي، استعدهـا .

وأخرجت سونيا منديلها من جيبها وبحثت عن العقدة التي ربطتهـا فحلتها وسحبت ورقة العشرة روبلات فدفعت بها الى لوجين .

قال هذا بلهجة معاتبة دون أن يستعيد الورقة النقدية :

ـ على هذا اذن . فانك لا تريدين الاعتراف بالمائة روبل .

سرحت سونيا طرفها فيما حولها . كان الموجودون ينظرون اليهـا بارتياع وقسوة وازدراء وحقد ، ونظرت الى راسكولنيكوف ... كان هذا واقفا مستندا الى الجدار معقود الذراعين يحدجها بنظرة ملتمعة .

غمغمت سونيا بصوت ضارع :

ـ آه ، يا رب !

قال لوجين بوداعة لا تخلو من التحبب مخاطبا صاحبة المسكن :

ـ يا أميلي ايفانوفنا ، ينبغي اخطـار البوليس . وبانتظار ذلـك ، أرجوك بكثير من التواضع أن تتفضلي باستدعاء البواب .

نطقت أميلي ايفانوفنا بعبارة بالالمانية اعرابا عن رأيها وقالت ، وهي تضرب كفا بكف :

ـ كنت أعرف تماما أنها سارقة !

فقال لوجين :



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ كنت تعرفين ؟ بناء على ذلك فان لديك من الاسباب المسبقة ما جعلك تستنتجين هذا الرأي. أرجوك يا أميلي ايفانوفنا شديدة الاحترام أن تتذكري هذه الكلمات التي تلفظت بها للتو أمام هؤلاء الشهود .

حمي النقاش في كل أركان الغرفة وتفاقم الاضطراب والبلبال حتى شمل كل انسان .

صرخت كاترين ايفانوفنا فجأة ، بعد أن استعادت روعها :

ـ كيف ؟

ثم قفزت باتجاه لوجين وكأنها اندفعت بقوة لولبية وصرخت :

ـ كيف ؟ انك تتهمنا بالسرقة ؟ هي ؟ سونيا ؟ آه ! يا للانذال ! يا للانذال !

وجرت الى سونيا تضمها بقوة وعنف مطبقة ذراعيها حولها واسترسلت :

ـ سونيا ! كيف جرؤت على تقبل عشرة روبلات من هذا الرجل ! آه ! يا للحمقاء ! رديها اليه فورا ! أعيدي اليه روبلاته العشرة ! خذ !

وانتزعت الورقة المالية من بين يدى سونيا ، فكورتها بين أصابعها وألقتها في وجه لوجين ، فأصابته الكرة الورقية في عينه . وتدحرجت على ارض الغرفة ، فاندفعت أميلي ايفانوفنا تلتقطها .

غضب بيير بيتروفيتش وصرخ :

ـ أمسكوا هذه المجنونة !

بدا على مدخل الغرفة الى جانب لوجين عدد من الاشخاص بينهم السيدتان « المتسكعتان » .

زمجرت كاترين ايفانوفنا :

ـ ماذا ! مجنونة ! أأنا المجنونة ؟ أيها السخيف ! سخيف أنت نفسك أيها القط المنتفخ! أيها المخلوق القذر! سونيا، سونيا تأخذ منه مالا؟ سونيا



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

سارقة ؟ لكنها تعطيك بدلا من أن تأخذ منك ، أيها السخيف !

وانفجرت كاترين ايفانوفنا بضحكة هيستيرية وصاحت ، وهي تجري في أركان الغرفة تشير الى لوجين :

ـ هل رأيتم هذا السخيف ؟ كيف ؟

وفجأة وقع بصرها على صاحبة المسكن فصرخت :

ـ وأنت أيضا ! أنت أيضا تدعين أنها لصة ، أيتها البروسية القذرة ؟ هل ترون هذا ! هل ترون هذا ! لكنها لم تبرح هذه الغرفة . وقد جاءت منذ أن خرجت من عندك أيها الرجل الفظ تجلس قرب روديون رومانوفيتش ، فتشها ! طالما أنها لم تذهب الى أي مكان فان المبلغ يجب أن يكون باقيا معها ! فتش اذن ، فتش فتش ! لكنك اذا لم تجد شيئا فلسوف يكون لي معك شأن ، يا عزيزي ! الي الامبراطور ! سأمضي الى الامبراطور لأشكوك ، الى القيصر الرحيم ، سألقي بنفسي على قدميه فورا ، اليوم بالذات ! انني يتيمة ! ولسوف يدعونني أدخل! أو تظن أنهم لن يدعونني أدخل ؟ انك مخطىء ! لسوف أصل اليه ! لسوف أصل !لقد كنت تعول على خجلي ! وبنيت املك على هذا الأساس ! لكنني ـ ألا ترى ـ لست شديدة الخجل ! لسوف تجد من تتحدث اليه ! ابحث اذن ، ابحث ، ابحث .. ما بك ؟ ابحث !!!

راحت كاترين ايفانوفنا تهز لوجين بعنف وتجره نحو سونيا ، غمغم لوجين :

ـ انني على استعداد لتحمل مسؤولية ما أقدمت عليه يا سيدتي، فاطمئني ! انني أرى أنك لست شديدة الخجل ... انه ... في الحقيقة ... يجدر أن يستدعى البوليس ... ثم ان هناك عددا أكثر من اللازم من الشهود ... انني مستعد ... لكن هذا العمل دقيق جدا بالنسبة للرجل .. نظرا لاختلاف الجنس ... لو كان يمكن اللجوء الى مساعدة أميلي ايفانوفنا رغم أن الامور لا تسوى على هذا النحو ... ما العمل ؟



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

صرخت كاترين ايفانوفنا :

ـ خذ من تشاء ! ليفتشها من يشاء ! سونيا، اقلبي جيوبك أمامهم! خذ ! خذ ! أنظر ، أيها الوحش ! ألا ترى أنها فارغة ؟ كان هنا منديل فقط ... أنت ترى أن الجيب فارغ ... والان الى الجيب الاخر • خذ ! ألا ترى ! ألا نرى ؟

راحت كاترين ايفانوفنا تعرض جيوب الفتاة على الموجودين وهي تقلب بطانتها وتهزها بعنف • وفجأة قفزت من الجيب الايمن ، الجيب الاخر ، ورقة رسمت في الهواء نصف دائرة وسقطت عند أقدام لوجين• كان الموجودون جميعا قد شاهدوها ، فتعالت صيحات التعجب من حناجر الكثيرين •

انحنى بيير بيتروفيتش والتقط الورقة بين اصبعيه وراح ينشرها على مرأى الجميع، كانت ورقة مالية من فئة المائة روبل مطوية ثماني طيات • أخذ بيير بيتروفيتش يدير يده عارضا الورقة على انظار الموجودين •

نبحت أميلي ايفانوفنا :

ـ يا سارقة ! أخرجي من هنا ! الشرطة ، الشرطة ! ينبغي ارسالها الى سيبيريا • اخرجي !

ابتعثت صيحات الاستغراب والتعجب من كل مكان ، بينما كان راسكولنيكوف صامتا ينظر الى سونيا دون انقطاع الا خلال فترات كان ينقل بصره منها الى وجه لوجين ، وكانت سونيا جامدة في مكانها وكأنها أصيبت بالخبل حتى أنه لم يكن يبدو عليها شيء من الدهشة • وفجأة اندفع الدم الى وجهها فأطلقت صيحة خافتة وأخفت وجهها بين يديها • صرخت خلال عبراتها بصوت يمزق القلوب ، وهي تندفع نحو كاترين ايفانوفنا :

ـ كلا ! كلا ! لست أنا • انني لم آخذ شيئا ! لست أدري !

ضمتها كاترين ايفانوفنا بعنف الى صدرها وكأنها أرادت أن



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

تجعل من صدرها درعا لها . وصاحت تكذب عينيها وتهدهد سونيا بين ذراعيها كالطفل وتغمرها بالقبلات :

ـ سونيا، سونيا ! انني لا أصدق شيئا ! ألا ترين أنني لا أصدق! أنت تأخذين شيئا ؟ لكن ، أو ليسوا حمقى هؤلاء ! رباه ! أيجب أن تكونوا جميعا حمقى . حيوانات !

واستدارت تخاطب الاشخاص الموجودين قائلة بصوت لاهث :

ـ انكم لا تعرفون شيئا عن قلبها ! انكم لا تعرفون من هي هذه الفتاة ! انها تعطي آخر قميص عندها، نعم تعطيه ، وتسير عارية القدمين، انها تعطيكم كل شيء اذا كنتم في حاجة اليه . هذه هي سونيا ! لقد باعت جسمها وحملت بطاقة لأن أولادي كانوا يموتون جوعا . لقد باعت نفسها من أجلنا ! آه يا زوجي المرحوم المسكين ! آه ! أيها المرحوم المسكين ! يا قبقبدي المسكين ! هل ترى هذا ؟ أوَ تراه ؟ أنظر أي نوع من طعام جنائزي كان معدا لك ! رباه ! لكن احموها أنتم بدلا من وقوفكم هكذا ! يا روديون رومانوفيتش ، لِمَ لم تدافع عنها أنت ؟ هل تصدق أنت الآخر مثل هذه الاشياء ؟ انكم جميعا ، مهما سمت مراتبكم، لا تساوون أصبعها الأصغر ! كلكم ! كلكم ! كلكم ! رباه . هيا دافع عنها أخيرا .

أخذت عبرات المصدورة البائسة تثير اشفاقا كبيرا بين الموجودين. كان في وجهها التالف الهزيل الذي حمره المرض ، وشفتيها الذابلتين المدميتين وصوتها الأجش الزافر ونحيبها العنيف الذي يحاكي نحيب الأطفال ، وفي ذلك الرجاء البريء المخلص وهي في أعماق يأسها، شيء يثير الاشفاق ويعتصر القلب . كانت حالتها البائسة تستدر العطف حتى أن بيير بيتروفيتش « رأف » بها وأعرب عن ذلك بلهجة رزينة :

ـ سيدتي ، سيدتي ان هذا الأمر لا يعنيك في شيء . ان أحدا



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

لا يفكر في اتهامك بسوء التدبير أو الاشتراك بالأمر ، خصوصا وأنك أنت التي عرضت أمر تفتيش جيوبها . واذن ، فانك ما كنت تعتقدين بامكان حدوث ما حدث . انني على استعداد — نعم على استعداد تماما هنا — لابداء الرحمة اذا كانت الفاقة هي التي دفعت صوفي سيميونوفنا الى ما أقدمت عليه . لكن لِمَ اذن يا آنسة رفضت الاعتراف ؟ هل خشيت التعرض للتشهير ؟ أهذه هي فعلتك الأولى ؟ لعلك كنت فاقدة عقلك . ان القضية مفهومه .. لكن لماذا وضعت نفسك في مثل هذا المأزق !

ثم استشهد بالحاضرين وقال :

— رباه ! رباه ! انني على سبيل الاشفاق وحسم الموضوع على استعداد الآن أيضا للصفح رغم الاهانات الشخصيه التي وجهت الي ! نعم يا آنسة : ليكن لك من العار والخجل اللذين لحقا بك الآن درس يردعك في المستقبل . انني لن أدفع الأمر الى أبعد من هذا ، وأرغب في أن تتوقف الأمور عند هذا الحد .. ان هذا يكفي .

نظر بيير بيتروفيتش من زاوية عينه الى حيث كان راسكولنيكوف والتقت نظراتهما . كانت نظرة راسكولنيكوف الملتهبة تكاد أن تسحق لوجين . أما كاترين ايفانوفنا فكانت كأنها لم تسمع شيئا : كانت لا تزال تعانق سونيا كالمخبولة . وحذا الأطفال حذوها . فراحوا يطوقونها بأذرعهم الصغيرة . وانخرطت بولنا في البكاء وراح جسمها يهتز من النحيب . كانت تخفي وجهها الجميل المنتفخ بالبكاء في كتف سونيا وهي لا تدري عن المأساة شيئا .

وفجأة انبعث صوت خطير بجانب الباب يقول :

— كم هو وضيع هذا !

فألقى بيير بيتروفيتش نظره سريعة حوله .



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

كرر ليبيزياتنيكوف ، وهو يحدج لوجين بقسوة :

ـ يا للدناءة !

شعر بيير بيتروفيتش بما يشبه القشعريرة في جسمه ولاحظ كل الموجودين ذلك . خطا ليبيزياتنيكوف خطوات الى داخل الغرفة. وقال وهو يتجه نحو بيير بيتروفيتش :

ـ مع ذلك فقد جرؤت على تقديمي شاهدا عليها ؟

نعق لوجين :

ـ ما معنى هذا ، يا أندريه سيميونوفيتش ؟ ماذا تريد أن تقول ؟

أجاب ليبيزياتنيكوف باحتداد وهو ينظر اليه بقسوة بعينيه المريضتين الصغيرتين المستعدتين لملاحظة كل كلمة واعطائها ما تستحق من تقدير :

ـ معنى ذلك انك مفتر نمام ، ذلك ما تعنيه كلماتي !

ران السكون من جديد ، فبدا بيير بيتروفيتش كأنه فقد سيطرته على أعصابه للوهلة الأولى .

شرع يقول متلعثما :

ـ اذا كنت توجه الحديث لي ... لكن ماذا دهاك ؟ هل أنت مالك لقواك ؟

ـ نعم ! انني مالك لقواي ! لقد سمعت كل شيء ! ان معنى ذلك أنك خائن مخاتل . آه ! كم هو دنيء كل هذا ! لقد سمعت كل شيء ولقد انتظرت عامدا لأفهم كل شيء لأنني ـ وأعترف ـ حتى في هذه اللحظة لا يبدو الأمر لي بشكل معقول تماما ... لكن لِمَ عملت كل هذا ؟ انني لا أفهم السبب !

ـ لكن ما هذا الذي عملته ؟ هل بدأت تتكلم بأحاج سخيفة أم أنك ثمل ؟



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

ـ بل انك أنت أيها الرجل المنحط الذي يمكن أن تكون ثملا وليس أنا ! انني لا أشرب العرق مطلقا لأن ذلك يخالف عقائدي ! تصوروا أنه هو ، هو بنفسه الذي أعطى بيده ورقة المائة روبل الى صوفي سيميونوفنا ، لقد رأيته وكنت شاهدا على ذلك . انني على استعداد للادلاء بهذا القول أمام المحكمة . انه هو ! انه هو !

قال لوجين بصوت كالنباح :

ـ لكنك مجنون ، أيها الغر ! لقد ادعت بنفسها أمام الموجودين منذ برهة بأنها لم تأخذ مني روبلا واحدا أكثر من ورقة العشرة روبلات، فكيف أكون قد أعطيتها هذا المبلغ ؟

كرر ليبيزياتنيكوف تأكيداته :

ـ لقد رأيتك ، لقد رأيتك . وعلى الرغم من تنافر ذلك مع عقائدي فانني مستعد للادلاء بقولي في المحكمة بعد أداء اليمين ، لأنني رأيتك تدس لها هذا المال سرا في جيبها : لكنني كنت من الحماقة بحيث ظننت أنك فعلت ذلك على سبيل الاحسان . كان ذلك قرب الباب حينما كنت تودعها ، وبينما استدارت لتصافح يدك الممدودة ، دسست أنت بيسراك الورقة المالية في جيبها . لقد شهدت ذلك بنفسي ! لقد شهدته !

شحب وجه لوجين وانتفض بعنف :

ـ ما هذه الخزعبلات التي تروجها ؟ لقد كنت قرب النافذة فكيف يتاح لك رؤية هذه الورقة ... ثم كيف تعرف ذلك ... انك بعينيك المريضتين تتخبط ...

ـ كلا ، انه ليس تخيل أو وهم ! انني رغم المسافة بيننا لم تفتني شاردة من تصرفاتك . نعم ، انه من العسير علي تمييز هذه الورقة وأنا في مكاني على النافذة . انك محق في هذا . لكنني كنت أعرف ـ بسبب ظرف خاص ـ أن ما دسسته في جيبها كان ورقة من ذات المائة



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

روبل . لأنني كنت حينذاك قريبا منك ورأيت الورقة في يدك . لقد طويتها واحتفظت بها طوال الوقت في يدك ، لكنني بعد قليل نسيت هذه الملاحظة تقريبا . وعندما نهضت نقلتها من يدك اليمنى الى يدك اليسرى فكادت أن تسقط من يدك ، فأتاح لي ذلك أن أتذكرها من جديد . فظننت أنك تريد أن تسدي الى صوفي سيميونوفنا جميلا دون أن تشعرني به . وهكذا رحت أراقبك ! لقد رأيتك بعدئذ قد توقفت في دس الورقه في جيبها . لقد رأيت ذلك وانني على استعداد لتأييد أقوالي بالقسم !

كان ليبيزياتنيكوف شديد الانفعال يكاد الغيظ أن يخنقه ، بينما ارتفعت من أنحاء الغرفة مئات الهمسات وعبارات الاستغراب والدهشة . لكن بعض تلك العبارات كانت تحمل طابع التهديد ! والتف الموجودون حول بيير بيتروفيتش بينما اندفعت كاترين ايفانوفنا الى ليبيزياتنيكوف وهي تقول ، وقد جثت على ركبتيها أمامه دون وعي :

ـ يا أندريه سيميونوفيتش ، لقد كنت مخطئة في حقك ! دافع عنها ! انك وحدك الذي نصرتها ! انها يتيمة ! لقد أرسلك الله لحمايتها ! يا أندريه سيميونوفيتش ، أيها الباسل العزيز !

نبح لوجين ، وقد اشتد غضبه :

ـ خرافات ! هذا ما جئت تلغو به ، أيها السيد ! « نسيت ، تذكرت ، تذكرت ، نسيت » . ما هذا القول ؟ على حد قولك أكون أنا الذي دسست لها المائة روبل عامدا ؟ لماذا ؟ ماذا يجمع بيني وبين هذه الـ ...

ـ ما هي الاسباب ؟ هذا هو بالضبط الذي لا أتوصل الى فهمه . أما ما قلته فانه الحقيقة نفسها ! انني لا أخدع أيها النذل القذر السافل ، انني كنت أفكر في هذا الكرم الغريب حينما رحت أشكرك على حسن



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor

صنيعك ضاغطا على يدك . لقد تساءلت : لم دست لها هذه الورقة سرا أو على الأصح : لم تصرفت بتلك الطريقة المكتومة ؟ وقلت لنفسي: ألا يجوز أن يكون السبب في ذلك محاولتك اخفاء الأمر عني بعد أن علمت بأن مبادئي تتنافى وهذا الاحسان الخاص ، ذلك الاحسان الذي لا يستأصل أبدا عوز أي كان نهائيا ؟ لقد فكرت بأنك تشعر بالارتباك لتقديم مثل هذا المبلغ بحضوري، وانك تريد ـ علاوة على ذلك ـ أن تجعل القضية على شكل مفاجأة لتدهشها عندما تعثر في جيبها على تلك الورقة من ذات المائة روبل ! ان بعض المحسنين يسرهم أن يجعلوا أعمالهم المحسنة منطبقة بهذا الطابع المميز . ثم خطر لي أنه من الجائز أن تكون قد أردت اختبار أمانتها ، أي أنك أردت أن تعرف ما اذا كانت ستعود لتشكرك عندما تعثر على المائة روبل في جيبها أم لا ، لكنك كنت تبدو عازفا عن التعرض للشكر عملا بالمبدأ ـ كيف يقولونه عندكم ؟ ـ أن تجهل اليد اليمنى ما ... لذلك لا تسل عن الأفكار التي مرت برأسي وكثرتها . لكنني قررت بيني وبين نفسي أن أفكر في تصرفك ذاك محاولا تفسيره عندما يتاح لي فراغ من الوقت أصرفه في التفكير . أما في تلك اللحظة فقد قدرت أنه من غير اللائق أن أدعك تعلم بأنني مطلع على سرك . غير أن فكرة أخرى حلت في رأسي في تلك اللحظة : يجوز أن تضيع صوفي سيميونوفنا هذا المال دون أن تنتبه الى وجوده . ولهذا السبب تراني جئت الى هنا . لقد كنت عازما على استدعائها واعلامها بأنك دست لها مائة روبل في جيبها ، فمررت في طريقي على مسكن السيدتين كوبيلياتنيكوف لأقدم لهما كتاب : «لمحة عامة عن المنهج الايجابي » وأوصيهما بدراسة مقال بيديري وفاكنر . ثم جئت الى هنا لأجد نفسي وسط أغرب قضية يتصورها العقل ! فهل يعقل أن أكون قد فكرت كل هذا التفكير وتصورت كل هذه الامور لو لم أرك حقيقة تدس المائه روبل في جيب صوفي سيميونوفنا ؟



PDF compression, OCR, web-optimization with CVISION's PdfCompressor